مصادر التوراة
في ضوء النظريات النقدية الحديثة

د/ محمد علي إسماعيل البطة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر الشريف

دُعاءٌ وَرَجاءٌ

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، اللهم لك الحمد حمداً أبلغ به رضاك، وأؤدي به شكرك، وأستوجب به المزيد من فضلك، لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك، لك الحمد كما أنت أهله ووليه، فأنت أهل أن تُحمد، وتُعبد، وتُشكر. لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

مصادر التوراة في ضوء النظريات النقدية الحديثة

محمد علي إسماعيل البطة .

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، المنصورة ،جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: batta712000@yahoo.com

ملخص :

أنزل الله كتبًا لهداية البشر وجعلها نوراً لهم في حياتهم ومن هذه الكتب السماوية التوراة .

هذا الكتاب الذي ارتبط بأدوار تاريخية وأنماط سلوكية خاصة بالمجتمع اليهودي ، ولهذا فإن التاريخ يشكل نقطة هامة في مسيرة التوراة .

إن دوافع التوراة الحالية تثير العديد من القضايا والإشكاليات المتعلقة بجوانب عدة مثل : التحريف ، والمصادر والمصداقية .

لذا ظهرت نظريات عديدة تناقش مثل هذه الإشكاليات ، ومن بين هذه النظريات الحديثة (نظرية المصادر التوراتية) والتي تمثل في ذاتها اتجاهًا علميًا ونقديًا يجب الإهتمام به والبحث في مجاله .

من هنا يأتي هذا البحث بعنوان : (مصادر التوراة في ضوء النظريات النقدية الحديثة) من أجل التعرف علي الطرق والمناهج الحديثة في النقد التوراتي .

الكلمات المفتاحية : التوراة، النقد التوراتي، النظريات المصدرية الحديثة.

Sources of the Torah in the light of modern critical theories

Muhammad Ali Ismail Elbatta.
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa in Mansoura, Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: batta712000@yahoo.com

Abstract :

God sent down books to guide people and make them a light for them in their lives, and among these heavenly books is the Torah.

This book, which was associated with historical roles and behavioral patterns of the Jewish community, and therefore history constitutes an important point in the path of the Torah.

The reality of the current Torah raises many issues and problems related to several aspects such as: distortion, sources, and credibility

Therefore, many theories emerged that discuss such problems, and among these modern theories (the theory of biblical sources), which in itself represents a scientific and critical trend that must be given attention and research in its field.

From here comes this research entitled: (The sources of the Torah in the light of modern critical theories) in order to identify modern methods and approaches in biblical criticism.

Keywords: The Torah, Biblical Criticism, Modern Source Theories.

افتتاحية
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة ٧٩).

"إن ما بأيدينا الآن من اسفار العهد القديم ما هو إلا مجموعة مختارة من الكتابات الإسرائيلية من بين مئات من المؤلفات والمصنفات التى نشأت عبر تاريخ طويل يمتد حوالى ألف عام تقريباً، وإن هذا الاختيار تم دون أية خطة أو نظام واضح بواسطة عملية جمع وتدوين عشوائية للتراث الديني والأدبي".[١] ردولف سميند.

"إن التوراة كتاب ألف في أدوار مختلفة أشد الاختلاف، وإن التوراة مملوءة بالارتباطات والاختلاطات والروايات المرتبة المصنوعة بعد قصير وقت .[٢] جوستاف لوبون.

العهد القديم عبارة عن أسفار متفرقة لكتاب مختلفين عاشوا فى أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام، ثم ضمت هذه الأسفار فى كتاب واحد ".[٣] د/ مراد كامل.

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب ، د . عبد الراضي محمد عبد المحسن ، صـ١٠١ ، صادر عن مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية.

(٢) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، جوستاف لوبون، ترجمة ،: عادل زعيتر ، دراسة وتعليق د. محمود النجيرى ، ص ٨ مكتبة النافذة .ب.ت.

(٣) الكتب التاريخية فى العهد القديم ، د/ مراد كامل، ص ٨ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ط١٩٦٨م.

مُقدِّمةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين رحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسلك سبيله إلى يوم الدين..... وبعد:

فإن الله –عز وجل- أنزل كتبًا لهداية البشر وجعلها نورًا لهم في جوانب حياتهم، بها يتعاملون مع الله، ويتعايشون مع الخلق. ومن هذه الكتب السماوية "التوراة" كتاب الله المنزل على سيدنا موسى –عليه السلام-، والتوراة نفسها ككتاب مقدس ارتبط بأدوار تاريخية وأنماط سلوكية خاصة بالمجتمع اليهودي، ومن هنا فإن التاريخ التوراتي يشكل نقطة التركيز والاهتمام في معظم الدراسات التوراتية.

والحديث عن التوراة عادة يتخذ شكلين:-

أحدهما: يتصل بما كان كائنًا وصادقًا بحقيقة التوراة المنزلة.

ثانيهما: ينطلق بما هو واقع الآن فعلًا، أو بمعنى آخر من أين بدأ التحريف التوراتي، ولم؟هذا يعني أن واقع التوراة الحالية لا يقتصر في إثارة العديد من القضايا والإشكاليات الجادة المتعلقة بتحريف التوراة فقط، وإنما أيضًا في النظريات والرؤى الجديدة التي طرحها العلماء كتفسير علمي لهذه القضايا والإشكاليات التوراتية، والتي تمثل اتجاهًا عامًا لدى نقاد الكتاب المقدس بشكل عام، والتوراة بوجه خاص.

وهذه النظريات والرؤى الحديثة تعد في ذاتها اتجاهاً علمياً ونقدياً يجب الاهتمام به والبحث في مجاله .

من هنا تحتل دراسة التوراة أهمية كبيرة عند نقاد العهد القديم، وذلك على مختلف مستويات البحث، سواء البحث اللغوي أو الأدبي أو الديني أو التاريخي.

ويعود ذلك أساسًا إلى القيمة الدينية التي تحتلها التوراة، وأدى هذا التشعب في دراسة التوراة إلى تعدد وتشعب الدراسات النقدية، ومن أهم هذه الاتجاهات النقدية ما يعرف باسم "النقد المصدري" ويعد هذا الاتجاه الأساس الذي تقوم عليه بقية الاتجاهات النقدية. كما أنه من أقدم الاتجاهات النقدية التي ظهرت في العصر الحديث.

لابد، هنا، أن يُطرح السؤال التالي: لم هذا البحث؟

للإجابة على ذلك فإن علة البحث وأهميته تكمن في النقاط الآتية:

١- إن هذا البحث، يستطيع –بإذن الله-، وعبر مباحثه المتواضعة أن يكشف الأوهام التوراتية وادعاءاتها التاريخية بصدق وصحة مصدرها.

٢- البحث يساعدنا على فهم نوعية المصادر التوراتية الحقيقية والزائفة.

٣- التعرف على طرق نقدية حديثة على رأس النقد التوراتي داخل الدراسات الغربية.
٤- تتضح أهمية البحث في أنه حول الاهتمام من النقد النصي المتداول بين الدارسين إلى التحقق من صدق ودقة المصادر التوراتية.
٥- تؤثر نتائج هذا البحث في متغيرات متعددة مثل :القدسية، والصحة، والمصداقية والموثوقية التوراتية.
٦- الرغبة في الحد من موجة المدرسة التوراتية
٧- توفير بنية بحثية متواضعة تعبر عن مشاركة علمية ودينية تعد بداية لبحوث أكثر عمقًا، وأبعد غورًا لجميع أسفار العهد القديم خصوصًا والكتاب المقدس عمومًا.
٨- النظر لهذه المسألة على أنها مشاركة ضرورية ومهمة تسهم في الإفادة من عوائد النقد التوراتي في حل أهم قضية تتعلق بالتوراة، ألا وهي المصادر التي اعتمدت عليها التوراة الحالية.
٩- ما أكدته الدراسات السابقة –لرواد الدراسات اليهودية- من تأثير العلاقة بين تحريف التوراة والسلوك اليهودي تجاه الأمم الأخرى.
١٠- ما كشفت عنه آراء العلماء الغربيين وقبلهم المسلمين من تأثير التدخلات اليهودية المبكرة في سلامة النص التوراتي .
١١- وجود النظرة التقليدية (اليهودية – المسيحية) حول مصادر التوراة والقائلة بصحة هذه المصادر –من وجهة نظرهم- ومحاولة فرضها في الأوساط العلمية الأوروبية، وهذا يستدعى دراسة هذه النظرة وتفنيدها والرد عليها.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلين الآتيين:

١- هل مصادر التوراة كتبت بايدي أشخاص كثيري العدد متعددي الثقافة أم لا؟
٢- هل المصادر التوراتية تمتلك الادعاء بصحة الوحدة وصدق المصادر أم لا؟

فروض الدراسة:

١-توجد مصادر عديدة استقت منها التوراة نصوصها.
٢-لا يمكن الوثوق بالمصادر التوراتية.
٣-مدى صحة نظرية المصادر.

الدراسات السابقة:

تم تناول "النقد المصدري للتوراة" باعتباره أحد وأهم الموضوعات البحثية في النقد التوراتي المعاصر، وبالرغم من ذلك فقد احتلت هذه الموضوعات مكانة كبيرة في التراث الإسلامي استهلالاً بما بدأه "المسلمون إبان ازدهار حضارتهم، على دراسة الديانات، واستمر هذا النقد، ونشط في الغرب، وخاصة بعد الثورة ضد الكنيسة مما أدى إلى ظهور مؤلفات عديدة في مجال النقد التوراتي[١].

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأغراض العلمية تتمثل في:

أولًا: التعرف على ماهية المدرسة المصدرية وتاريخها ورواداها وأشكالها المعرفية والعوامل المؤثرة في وجودها (بشكل مختصر).

ثانيًا: دراسة العلاقة بين التوراة الحالية و المصادر التي اعتمدت عليها وذلك من خلال دراسة النظريات المصدرية

ثالثًا: التعرف على الإشكاليات المصدرية الخاصة بالتوراة وفتح باب لدراستها وتحديد أسبابها بوصفها المعيار الأساس للقبول بصحة هذه التوراة من عدمها.

صعوبات البحث:

لا يمكن إنكار الصعوبات التى واجهتنى فى تعقب المسيرة التوراتية ورصد النتائج العلمية التى تم التوصل إليها تحت تأثير السطحية فى مجال دراسة التوراة بشكل خاص، وفى الوقت نفسه تشكل ندرة المادة المصدرية التى تهم الدراسة مباشرة من نطاق المصادر العلمية، أكبر عائق يواجه إنتاج تحليل رصين ونقد علمى متميز لبنية المصادر التوراتية.

يتسم موضوع (النقد التوراتى) من زاوية البحث العلمى الحر أهمية بالغة لأنه تخطى مرحلة كان فيها البحث التوراتى أسير النظرة اليهودية، مقابل ذلك انفتح على مجالات جديدة حاول من خلالها خوض مجال التفاعل البينى الحاصل بين الوقائع التاريخية والنص التوراتى؛ لذا سأحاول رصد التحولات التاريخية فى واقع التوراة ولكن فيما يخص جزئية (بنية المصادر التوراتية).

(١) ذكرت هذه الدراسات في قائمة مراجع البحث.

وعلى الرغم من ندرة المادة العلمية فى الدراسات العربية القريبة من الموضوع ، فقد حاولت تجاوز هذه المعوقات عبر لم شظايا النصوص المبعثرة فى المصادر الدفينة إلى جانب الانفتاح على دراسات علمية لم تؤلف أصلاً لغرض المصادر التوراتية وموضوعها. وفى هذا المنحى وسعت دائرة القراءة والبحث ، مما أسهم فى إنارة جوانب معتمة فى تاريخ التوراة.

منهج البحث:

أما المنهج المستخدم في البحث الحالي فهو المنهج الوصفي القائم على أساس النقد، والتحليل، والتفسير وذلك من خلال رؤية وصفية ناقدة للمصادر التوراتية في وضعها الحالي على مستوى التعدد، والمصداقية، والتأثير والتبعية لكثير من العوامل التاريخية والدينية.

وقد اقتضت مهمة البحث أن تكون المعالجة في مستويات موضوعية متدرجة، وكانت خطته مشتملة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

مقدمة البحث: وفيها استعراض لمشكلة الدراسة؛ وفروضها، والدراسات السابقة وأهداف البحث، ومنهجه.

التمهيد: ويشتمل على :

أولا: مفاهيم البحث وما تشكله من جانب لغوي معرفي ومعلوماتي.

ثانيا:التصور العام حول المصادر التوراتية في التشريع والتاريخ، والإشكاليات المتعلقة بالتوراة.

المبحث الأول: تاريخ علم النقد المصدري.

المبحث الثاني: نظريات مصدرية التوراة.

المبحث الثالث: النظرية (الحقيقة) الإسلامية عن المصادر التوراتية.

وفي الختام، أرجو الله العلي القدير أن أكون قد وُفقت في تحقيق الهدف المأمول من هذا البحث.

والحمد لله في الأولى والآخرة على توفيقه وعونه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تمْهيدٌ

في هذا الجانب الأولي من البحث (التمهيد) والذي لا غنى عنه حيث يمثل إضاءة معرفية وتاريخية تشكل أساسا احتوى على معارف ومفاهيم وجوانب تاريخية حول البحث بمفاهيمه ومدخله يمكن تقسيم التمهيد إلى نقطتين جوهريتين وهما:

أولا: مفاهيم البحث من الناحية المنهجية يجب أولا التعريف بأهم مصطلحات البحث، ويأتي في مقدمتها:

المصدر:من الضروري بداية أن نوضح ماذا نعني بكلمة مصدر؟ تعني كلمة مصدر: رد التوراة إلى مصادرها الأصلية وإن تعددت. فنتائج الدراسات الحديثة تثبت أن التوراة اشترك في كتابتها أجيال متعاقبة وكان لكل جيل اتجاهه، وأفكاره، وألفاظه، واصطلاحاته الخاصة، وهذا الاتجاه يسمى في علم نقد التوراة مصدرًا[١]

النظرية:يقصد بها عادة مجموعة منسجمة من الافتراضات، القابلة للتقصي، فالافتراض والانسجام والتقصي، مفاهيم أساسية، تحدد بعد(النظرية)، وهى افتراض علمي يجمع عدة تصورات مدروسة ومعروضة بشكل عقلي وعلمي، ومن شأنها أن تبنى عليها أفكار وآراء، واتجاهات ونزعات. [٢] ويفترض في كل(نظرية) ضرورة اعتبارها لموضوع المعرفة.[٣]

النقد في اللغة: كلمة النقد كما قال صاحب المحيط " فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده "[٤].

النقد اصطلاحاً :النقد في الأدب: تناول الأدب، ودراسته، والنظر فيه، ومناقشة النص الأدبي، واستخلاص عناصر الجمال التي سما بها، وسمات القبح التي اتضع بها. ونقد الأدب: إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن. ونقد الأدب: إشارة بإجادة المجيد وتأديب للمقصر المسيء، فالنقد هو العدل بالمشاهدة والفحص لا بالأهواء والميول. [٥]

---

(١) مناهج النقد الغربي للعهد القديم، / أحمد عبد المقصود الجندي، مقال منشور على موقع(on islam)، بتاريخ ٢٢أكتوبر ٢٠٠٨م.

(٢)المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التونجي، ج٢، ص٨٦١، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/ سعيد علوش، ص٢١٩، دار الكتاب اللبناني وسوشبريس بالدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م، بيروت – لبنان.

(٤) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي ، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مادة ن ق د،مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠٥م.

(٥) المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التونجي، ج٢، ص٨٦٤.

حد النقد المصدري للتوراة وتعريفه .

هو علم بحث يسمى Biblical criticism" أي (النقد الكتابي)" يعنى بالبحث فى النصوص المقدسة الكتابية فيعمل العلماء المتخصصين النظر فى محتوى النصوص لتحليل القيم النصية من حيث مطابقتها للأصول وإرجاعها للمسوحات الأصلية من المخطوطات وذلك لانعدام الأصل. لذا فهذا العلم يبحث فى الكتابات المقدسة بغية استصدار أحكام علمية حول هذه الكتابات من حيث مكان، وكيفية الكتابة ولماذا كتبت ومن الكاتب ولمن كتبت والظروف التى أحاطت بالكتابة التى كان لها أثر فى الكتابة ومصادر الكتابة والعوامل التى أثرت فى الرسالة. كما يتناول هذا العلم النص بذاته من حيث المعانى للكلمات والطريقة التى استخدمت فى الكلمات، تاريخها، أصولها، وتغيرها لذا فإن هذا العلم يبحث من خلال منظومة علمية متكاملة مثل علم الآثار، علم الإنسان، علم الفلكور، علم اللغة، علم التاريخ، علم الدراسات الدينية ناسخيها وذلك لأجل أن النص أخضع لهوى النساخ واستحساناتهم التى قد تعدلها وتغيرها أو حتى تحذفها فيما بعد.(١)

وذلك غفلة حيناً، وعمداً أحياناً، والمستنسخ قد يغير ويبدل من الكلمات والتراكيب ما يتوافق مع دافعه بغض النظر عن الأمانة العلمية فى دقة النقل ممن سبقه، فما بالك عندما تكرر هذه العملية عشرات المرات إن لم تكن مئات المرات، فلا شك أن النص المسكين سيكون فى نهاية المطاف هو الضحية ولاشك فإن التفكك النصى وعدم الاتساق من أبرز مظاهر التحريف والتغيير المستمرين .

إن ما أدخله النساخ على النص من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان قد يكون مرجعه الخطأ أو النسيان أو الفهم الخاطئ أو قلة الفقه أو الاعتماد على الرأي الفردي الضيق أو قلة التركيز أو النكاية فى الخصم ولياً لأعناق النصوص أو تعمد التحريف والتدليس لذا فإن كان هذا هو حال النص فمحال أن يستطيع أحد استرجاع أصوله والنصوص المتوفرة الآن على الرغم من قدمها ما هي إلا نصوص مثقلة بأنواع التبديل والتحريف والتغيير، فلا يرجى برؤها ولا الانتفاع منها(٢)

يمكن تقسيم نقد الكتاب المقدس إلى شكلين أساسيين:

النقد العالي والنقد الأدنى، إن النقد الأدنى هو محاولة لإيجاد الصياغة الأصلية للنص بما أنه لم يعد لدينا الكتابات الأصلية، أما النقد الأعلى ويختص

(١) المؤسس في نقد الكتاب المقدس، رويكد بن صالح التميمي النجدي،ص٧ نسخة إلكترونية، ١٤٣٠هـ.

(٢)المرجع السابق ، ص ٩.

بمصداقية النص ذاته، وهنا تطرح أسئلة مثل: من كتب هذا النص فعلًا؟ من هو الكاتب الأصلي لهذا النص؟

إن الكثير من النقاد في هذين الجانبين لا يؤمنون بوحي الكلمة المقدسة ولهذا يستخدمون أسئلة كهذه لينكروا عمل الروح القدس في حياة كاتبي الكلمة المقدسة، إنهم يؤمنون أن العهد القديم ما هو إلا مجموعة من التراث الشفهي ولم تتم كتابته إلا بعد سبي شعب إسرائيل إلى بابل ٥٨٦ق.م.

النقد الذي وجهه علماء اللاهوت أنفسهم، والذي قسم إلى صنفين:

أ- النقد الداخلي: حيث وجهت الجهود العلمية المتواصلة للعثور على نسخ أصلية ومقارنة قواعد لغة النصوص وأسلوب الكتابة ومختلف التراجم وذلك للتأكد من أن الطبعة الأخيرة المتوافرة من العهد القديم صحيحة قدر الإمكان

ب- النقد الخارجي: وهو جهد علمي يتطلب إعادة النظر وتمحيص ما ورد في العهد القديم من الأخبار والقصص لا من الجهة العقائدية بل من خلال الحقيقة التاريخية.[١]

ما هو النقد التنقيحي والنقد العالي؟

النقد التنقيحي والنقد العالي ما هما إلا شكلين من أشكال نقد الكتاب المقدس، الهدف منهما هو فحص الكلمة المقدسة وتحديد كاتبها ومصداقيتها التاريخية وتاريخ كتابتها، إن أغلب هذه الأشكال من النقد تحاول في النهاية أن تهدم نص الكتاب المقدس.

ولعلنا نلخص لبعض من أنواع النقد العالي

١-النقد المصدري Source criticism وهو ذلك العلم الذى يعنى بالغرض الذى كتب النص من أجله، وهو داخل تحت علم: علم النقد التاريخى

٢- النقد التنقيحي: Redaction criticism بأى وسيلة وصف النص فمثلاً الصياغة النمطية الشخصية للكاتب، يعرف من خلالها أن هذه الكتب لكاتب واحد من خلال الأسلوب.

٣- النقد التقاليدى Tradition criticism :الآليات فى كيفية وصول النص لنا ومراحل تدرجه عبر التاريخ.

٤-النقد الشكلى Form criticism يصل إلى المنبع الشفوى للكاتب لما يكتب.

٥- كذا النقد التاريخى:Historical criticism والأدنى Lower criticism[٢]

(١)نقد العهد القديم، د.سامي سعيد الأحمد، بحوث مهداة إلى الدكتور أحمد سوسة ،ص ٢١٦بدون.
(٢)المؤسس في نقد الكتاب المقدس، رويكد بن صالح التميمي النجدي ص ١٠.

وهو كل ما يتعلق بالنص، فهذا النقد يبحث فى النص من حيث (كيف وصل وكيف نقل ومن الكاتب الأصلى للنص، ومن نقله لنا؟ وجوانب النص التاريخية وأنواع المخطوطات ومدار خلافها وأنواعها وسبر تناقضها)

ونهاية هذا الفرع هو محاولات مستميته للوصول إلى النص الأصلى الذى كتبه الكتبة الأوائل وغيرهم من خلال مخطوطاته المتعددة، ولاشك أن هذه الغاية أبعد عليهم من النجم، وذلك لأن النص الأصلى مفقود، والمخطوطات متعددة ومتضاربة فقد تم النسخ والزيادة والنقصان وتيرة فى العموم ولا ضابط كلى وكما قال صاحب مقدمة الكتاب المقدس ترجمة الرهبانية اليسوعية فإنه لا سبيل إلى الوصول إلى الأصل لانعدامه[١].

إن خلاصة ما يمكن قوله: إن النقد التنقيحي هو القول بأن كُتَّاب التوراة كانوا مسجلين للتراث الشفهي ولم يكتبوا التوراة بأنفسهم مباشرة.

وأيضا فإن الكتابات اليهودية(إن صح التعبير) ظلت لفترة طويلة بلا أسماء مؤلفين؛ للاعتماد على النقل من ثقافات آداب أخرى، إضافة إلى كون الموروث الشفهي الذي أخذه اليهود عن المنطقة المحلية غنيًا ومتنوعًا بحيث يصعب جمعه خلال فترات قصيرة، مما تطلب زمنًا ربما امتد لقرون طويلة من أجل إعادة صياغته وملاءمته وفق شكل خاص بهم.[٢]

تعريف التوراة:

التوراة في اللغة: لقد اختلف في هذا المفهوم، هل هو عربي، أم عبري؟ ولقد أقرت بعض المراجع أن "هذه الكلمة عبرية لكن البعض يرغب في أن يجعلها كلمة مشتقة من كلمة وورَّى(أخفى سرًا) [٣].

ومن قال بأنها عبرانية فهى مشتقة من فعل " يوريه " بمعنى يُعلْم أو يوُجَّه وربما كانت مشتقة من فعل باراه بمعنى يجرى قرعة، ولم تكن كلمة " توراة " ذات معنى محدد فى الأصل إذ كانت تستخدم بمعنى وصايا " أو " شريعة " أو " علم " أو" أوامر" أو تعاليم[٤] وفى معجم الوافى تطلق على أسفار موسى الخمسة ، ومعناها

---

(١)المؤسس في نقد الكتاب المقدس، ص ١١.

(٢)التوراة كتابات ما بين العهدين(مخطوطات قمران – البحر الميت٢)، التوراة المنحول، حققت بإشراف أندريه دوبون – سومر مارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، ص٦، ط١ – ١٩٩٨م، دار الطليعة الجديدة – دمشق.

(٣) جيفري، ١٩٣٨، ص٩٦، نقلًا عن اللغة – الهوية (قومية – اثنية – دينية)، تأليف جون جوزيف، ترجمة: د/ عبد النور خراقي، مجلة عالم الفكر، أغسطس ٢٠٠٧م، ص٢٦٩.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : عبد الوهاب المسيرى ، ج٥ ص ٨٦ ،ط١ ، ١٩٩٩م ، دار الشروق ، مصر.

شريعة ووصية معربة " تورة بالعبرانية ".[١] أسفار موسى الخمسة: العهد القديم. تَوَرَّأ تَوَرُّوأت عليه الأرض: تهدمت عليه واستوت. تَوَرَّخ تورخا العجين: استرخي تورخت الأرض: ابتلت.[٢]

مفهوم التوراة اصطلاحًا :

ا- التوراة في الفكر اليهودي.

كلمة التوراة مشتقة من جذر عبرى يعنى ألقى أو أصاب، أشار أو علّم والتى تعنى الإشارة أو الإرشاد أو التعليم ومنها جاءت أيضا أى قانون متأثرة فى ذلك بالترجمة السبعينية للكلمة والتى نجدها أيضا فى كتابات يوسيفوس.[٣]

التوراة (torah): وتعني هذه الكلمة بالعبرية (tora) "القانون" (في اليهودية والمسيحية) "سطر الشريعة" وتعني "أسفار موسى الخمسة" و"التوراة اليهودية" هي التعاليم أو الهداية التي أنزلها الله للناس–حسب المفهوم اليهودي والمسيحي-[٤].

التوراة هى الاسم العبرى للبنتاتيوك[٥] (الأسفار الخمسة الأول) الكتاب المقدس[٦].

بمعنى التعليم أو الشريعة ، وأصلها فى العربية بمعنى دلّ وهدى، والمقصود بكلمة توروت فى سفر الخروج فرائض الله وشريعته، وتشتمل على الأحكام الموروثة والمعمول بها عرفا وعادة من غير أن يكون لها أصل مكتوب، وهى عندهم التوراة الموصى بها من غير تدوين، والأحكام المدونة المنزّلة وهى المسماة أسفار موسى الخمسة، واتخذت باليونانية اسم بانتاتيوكس، أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة. لأنها تشتمل على خمسة كتب منسوبة إلى النبى موسى، وجرت العادة منذ الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية أن يسمى كل سفر حسب محتواه[٧].

---

(١) الوافى ،عبد الله البستانى ، ص٦٤ ، د.ط مكتبة لبنان ١٩٨٠ م ، المنجد فى اللغة ، ص٦٦ ، ط٢٠ ، دار المشرق ، بيروت.

(٢) لاروس المعجم العربي الحديث، د/ خليل الجر، مكتبة لاروس، باريس – فرنسا.

(٣)التوراة في الفكر اليهودي، الراهب سرافيم البرموسي،المقدمة بتصرف ص٤ يونيو ٢٠٠٧م، ب.ط.

(٤) المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، صـ٦٣٨. وانظر أيضًا: قاموس الأديان الكبرى الثلاث: اليهودية – المسيحية – الإسلام، نور الدين خليل، ص٧٥٩، ط٢٠١٠م، مؤسسة حورس الدولية – الإسكندرية.

(٥)البنتاتيوك يأتى من الكلمتين اليونانيتين التى تعنى الكتب الخمسة أو المخطوطات الخمس The world Book ..... , volume (15) , P.243

(٦) The world Book Encyclopedia volume (19) , p.259 world Book , Inc . a scott fetger company , chicago London Sydney , Toronto , .

(٧) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، د.عبد المنعم الحفني،ص ٩١ ،مكتبة مدبولي، القاهرة، ب.ت. ب.ت.

التوراة فى فكر الرابيين هى أول دعامة يقوم عليها العالم فتقرأ فى المشناة أن العالم قائم على ثلاثة أمور التوراة والعبادة والعطاء، بل أن الإنسان مخلوق قد أوجدته اليد الإلهية من العدم من أجل التوراة فالتوراة أعظم من الإنسان فى الفكر اليهودى المتشدد وذلك لأن التوراة خلقت! قبل الإنسان! كما يعتقدون(١).

كما عُرفت نصوص العهد القديم عند علماء اليهود باسم " تناخ " ويكتبونها بالعبرية (ت ، ن ، ك) وهى الحروف الأولى من توراة، نبئيم (الأنبياء) وكتوبيم (الكتب) ومن الأسماء المستعملة للتوراة المقرأ أى النص المقروء، كما يطلق على التوراة اسم المسورة أو " المسورت، ويعنون به النص المقدس المروى عن الأسلاف، وكلمة مسورة معناها التقليد(٢).

تسمى التوراة باليونانية " بنتا تيوخ " ومعناها " خمسة كتب وكان اليهود يسمونها خمسة أخماس التوراة (٣) وتسمى بالعبرية " حوميش موشيه ".(٤)

٢-التوراة في المفهوم الاسلامي.

أما فى اصطلاح المسلمين فهو الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام، نوراً وهدىً لبنى إسرائيل(٥). وقد كان مدلول التوراة فى البداية ينصرف إلى الأسفار الخمسة من العهد القديم وهى المسماة أسفار موسى، ولكن ذلك المدلول لم يلبث أن اتسع فشمل أسفار العهد القديم كلها(٦).

بعد هذا الاستعراض السريع لأهم المصطلحات المتعلقة بالبحث، نلاحظ أن توضيح المصطلحات السابقة قد كون قاعدة مفاهيمية ومعرفية ضرورية أضحت من خلالها هذه المفاهيم والمصطلحات السابقة واضحة مما يسهم في تيسير حركة البحث بهدف توضيح الجانب المعرفي لهذه المصطلحات.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : عبد الوهاب المسيرى ، ج٥ ، ص٨٤.
(٢) المرجع السابق، ج٥ ، ص٨٤.
(٣) مقارنة الأديان : دراسة فى عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية ، طارق خليل السعدى ، ص٥٤ ،ط١ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م ،دار العلوم – بيروت.
(٤) المرشد إلى الكتاب المقدس ، القس سيكل سيل ، ج٢ ، ص٧٢ ، ط٨ ، ١٩٥٨ م ،د.ن ، بيروت.
(٥) دراسات فى الأديان ، اليهودية والنصرانية ، سعود عبد العزيز خلف ، ص٧٥ ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ هـ ٢٠٠٢م ، أضواء السلف ، الرياض.
(٦) المجتمع اليهودى ، زكى شنودة ، ص٢٨٥ ، د.ت . مكتبة الخانجى ، القاهرة.

ثانيا:التصور العام حول المصادر التوراتية في التشريع والتاريخ.

ثمة جوانب عديدة يجب طرحها، قبل مناقشة القضية الأهم، والموضوع الأبرز في البحث(بنية المصادر التوراتية) باعتبارها نقاطًا جوهرية وملامح أساسية يلزم تناولها قبل البحث ولو على نحو مختصرتتمثل هذه النقاط الأولية فيما يلي:

١- التطور المستمر للديانة اليهودية وعدم ثباتها عند وضع معين على مر العصور، فهي تتشكل ويزيد فيها التراث المكتوب، كما تتعدل فيها العبادات والشعائر بحسب الظروف.[١]

لذا فقد "تركت اليهودية الباب مفتوحًا بعد سيدنا موسى عليه السلام لدخول نصوص مقدسة، لها ما للتوراة من القدسية، مثل: أسفار الأنبياء، وكتب الحكمة، ثم إنهم كتبوا بعد ذلك المشنا، والتلمود البابلي، والأورشليمي، التي نالت مانالته التوراة من القيمة والاهتمام من اليهود. وإلى ظهور المسيحية لم يكن هناك من يؤمن بالعهد القديم سوى اليهود، وبالتالي اعتبروه كتاب التاريخ، والسياسة، والقومية، والعصبية العنصرية، والعقيدة، والشريعة، والتنظيم الاجتماعي، فلما ظهرت المسيحية اعتبرت هذا الكتاب ملكًا لها أيضًا، ونشرته ويبدو أن مفهوم المسيحيين للعهد القديم روحاني أكثر من مفهوم اليهود الذين ينظرون إلى العهد القديم من منظور سياسي، واجتماعي، وعشائري[٢] ولهذا فعندما نسيت التوراة فى إسرائيل جاء عزرا من بابل وأعادها، ثم نسيت ثانية فجاء هيلل البابلى وأقامها، إنها عبارة مألوفة فى التقليد اليهودى فلقد كانت التوراة ولا تزال تمثل تراث اليهودية الذى لم تطاله الأيدى[٣].

٢-تصور عام عن مراحل تدوين التوراة.

كل من اليهود والمسيحيين له وجهة نظر في تحديد معنى التوراة، لهذا سوف نلقي الضوء على هذه المعاني، والمفاهيم التي تقدم لنا أجوبة على أسئلة كثيرة بحثنا عنها، ولا زلنا نبحث عنها، فاليهود يقدمون القراءة للتوراة ضمن(الشريعة الخطية)، ... في الحقبة الحاخامية الكلاسيكية، أي في القرن الثاني قبل الميلاد، واستمر هذا حتى القرن الثامن الميلادي، هذا التقليد عرف باسم(الشريعة الشفهية)، أو كما قالوا(تقليد الأقدمين)، وهذا يعني أن الدراسة كانت تنتقل من المعلم، والتلميذ دون المرور بالكتابة.

---

(١) اليهود في العالم القديم، د/ مصطفى كمال عبد العليم، د/ سيد فراج راشد، ص١١، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) السابق، ص١٢.

(٣)التوراة في الفكر اليهودي، الراهب / سارافيم البرموسى ،ص ٤ .

ثم يمر في مرحلة تدوين وكتابة في(المشنا) التي نجد تفسيرها في(التلمود)، وفي مجموعات(مدراشية) حيث تم التوسع في هذا الموضوع على صعيدين:

الأول اعتمد على التفسير الحر الوعظي الهادف إلى تغذية التقليد الديني، والتي سميت في جميعه (هجداه).

والثاني عن طريق تحديد قواعد السلوك اليومي، التي سميت(هالاخه) ومن ثم الشريعة الخطية، والشريعة الشفهية التي تعتمد التلمود المرجع، والتفسير المتواصل.(١)

وهنا يلزم التمييز بين مرحلة النقل الشفهي، وبين تلك المرحلة التالية التي تشكلت فيها الكتب، وهذا التمييز بين المرحلة الشفاهية والمرحلة الكتابية يتجاوب مع التحليل النقدي المصدري للتوراة.

منذ القدم كان الجهد الرئيسي للعبريين جيلًا بعد جيل يتجه إلى الاحتفاظ بالأسفار التي تشتمل على التاريخ القومي والديني لهم لكي تكون مرآة للأجيال اللاحقة.

وقد استنفذ ذلك حوالي ألف عام جمعت فيها هذه الأسفار، فكونت موسوعة من الشعر والنثر تشتمل على الحكمة والأمثال والقصص والأساطير والفلسفة والتشريع، نعني بذلك العهد القديم، وكان غرضهم من تصنيفه دينيًا أكثر منه أدبيًا(٢).

حتى لقد قيل إن اليهودية برمتها ديانة منفى، ونستطيع القول أن ما جاء بكتبها الكبرى التوراة والتلمود والزهار والباهر وسفر الخلق قد صدر عن عقيدة كعقيدة التحليليين النفسيين التى كثيراً ما سمعنا بها، وأن الكثير من هذه الكتب كالهذاءات في المرض النفسى العقلى المعروف بالبارانويا، وقيل فى تفسير سيكولوجية الفلسفة اليهودية أنها فلسفة يحدوها وقوع اليهودى بين متناقضين أن يكون منبوذا، ومع ذلك من شعب الله المختار.(٣).

وأعتقد أن عملية الجمع بهذا الشكل، ومع طول المدة للتراث اليهودي، من أهم الأسباب التي تدعو إلى الشك في مصادر التوراة الحالية.

---

(١)التوراة: تاريخًا، أثريًا، دينيًا، إبراهيم الفني، ، ص ٨٢، بتصرف بسيط، دار اليازوري العلمية.

(٢) اليهود في العالم القديم، د/ مصطفى كمال عبد العليم، د/ سيد فراج راشد، ص١٤، دار القلم، الدار الشامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٣)موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، د.عبد المنعم الحفني،ص ٢١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ب.ت.

٣- تدوين أسفار التوراة.

من الطبيعي أن يتعرض البحث لمسألة تدوين أسفار التوراة؛ نظرًا لأن هذه المسألة لا يمكن التغاضي عنها؛ وذلك لأنها تكشف الجوانب الأساسية الخاصة بالتدوين من الناحية التاريخية.

يجمع الباحثون والعلماء أن كتاب حزقيال وضع أولًا ومن ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى وعلى رأس هؤلاء الباحثين العلماء اليهود أنفسهم.(١)

ومن ثم تم وضع باقي الكتب كلها بعد أن اكتشف الكتبة الفريسيون الامكانيات الواسعة التي فتحها أمامهم(حزقيال) بخياله المتأجج.(٢) والعهد القديم في صوره التي وصل إلينا بها يحتوي على ثلاثة أقسام رئيسة هي: التوراة، وأسفار الأنبياء، وكتب الحكمة(أو المكتوبات).

وإذا كان العهد القديم قد بدأ بالأسفار الخمسة: (سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية) المعروفة بالتوراة، إلا أن بقية الأسفار الأخرى قد جمعت بترتيب منهجي حسب مادتها وليس بترتيب تأليفها.

وتوراة موسى في وضعها الذي وصلت به إلينا تشكل مشكلة معقدة تنطوي على أخطر المشاكل النقدية، حيث تنسب الروايتان اليهودية والمسيحية القديمة تأليف الأسفار الخمسة المعروفة بالتوراة في صورتها الحالية إلى سيدنا موسى –عليه السلام- ، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف الزمني لمادتها.

فالتوراة لم تكتب إلا بعد وفاة سيدنا موسى –عليه السلام- بحوالي ألف سنة، ولم تكتب أثناء السبي البابلي في القرن الرابع قبل الميلاد، بينما عاش سيدنا موسى – عليه السلام - في القرن الثالث عشر ق.م على وجه التقريب.(٣)

إذا فالتوراة الحالية لم تكتب في حياة سيدنا موسى –عليه السلام- بل دونت بعده بحوالي ألف سنة- كما يرى العلماء- ألا يعد ذلك دليلا على إعادة النظر في صدق مصادر التوراة وصحة وقائعها التاريخية؟

٤- قانونية التوراة:

ابتدأ تكون قانون التوراة بالتشريع عندما أصدر الملك يوشيا ملك يهوذا الوثيقة التثنوية سنة ٦٢١ق.م والتي تعتبر أحد مصادر التوراة الحالية. أما متى أصبحت التوراة الحالية قانونية عند اليهود؟ فقد اتخذ قرار رسمي في شأن التوراة

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، ص٣٩، دار النفائس - بيروت، ب.ت.
(٢) السابق، ص٤١.
(٣) اليهود في العالم القديم، د/ مصطفى كمال عبد العليم، د/ سيد فراج راشد، ص١٤، دار القلم، الدار الشامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

الحالية من الزمن الذي ثبتها عزرا وأصدرها في سنة(٣٩٨ – ٤٠٠ق.م) على الأرجح ومنذ ذلك الحين اعترفت السلطات الفارسية الأخمينية بأن أسفار موسى(التوراة الحالية) تؤلف دستورًا يحكم جميع يهود الامبراطورية[١].

إشكاليات المصادر التوراتية

تواجه التوراة بشكلها الحالي عدة إشكاليات يجب إعادة النظر فيها؛ ومن بين هذه الإشكاليات، إشكالية المصادر التوراتية. هذه الإشكالية التي أثارت أسئلة عدة ومقلقة تتعلق بموثوقية التوراة وصمودها أمام النقد التوراتي، ومن أهم هذه الأسئلة:

(١) من كتب أسفار التوراة الخمسة؟ ومتى؟

لقرون عديدة عدَّ قراء الكتاب المقدس العبري كأمر مفروغ منه أن الكتب المقدسة كانت وحيًا مقدسًا وتاريخاً دقيقًا بالوقت نفسه، أوحى الله بها مباشرة إلى عدد كبير واسع من الحكماء والأنبياء والكهنة من بني إسرائيل، وافترضت المراجع الدينية الرسمية سواء اليهودية أو المسيحية بشكل طبيعي بأن كتب موسى الخمسة إنما أنزلت عليه وأنه قام بكتابتها بنفسه وذلك قبيل موته مباشرة وهو على الجبل كما يروي كتاب سفر التثنية.

أما كتب(أسفار) يشوع والقضاة وصموئيل فعدت جميعًا سجلات مقدسة احتفظ بها النبي الجليل صموئيل في شيلوه shiloho وعد سفر الملوك(الأول والثاني) مدونين بقلم النبي إرميا، وعلى المنوال نفسه سار الاعتقاد بأن سيدنا داود عليه السلام هو مؤلف المزامير، وأن الملك سيدنا سليمان عليه السلام هو مؤلف سفر الأمثال وسفر نشيد سليمان ولكن في القرن السابع عشر في العصر الحديث وجد العلماء الذين كرسوا أنفسهم للدراسة الأدبية واللغوية المفصلة للكتاب المقدس أن الأمر ليس بتلك البساطة أبدا.

لقد أبرزت الحجج اللغوية للعقل والمنطق عند تطبيقها على نصوص الكتب المقدسة تساؤلات مثيرة ومزعجة جدًا حول الثقة التاريخية للكتاب المقدس العبري[٢].كانت أولى هذه المشكلات تتعلق بطرح قضية: كيف يكتب موسى عن وفاته، ومشكلة التكرار عبر الأسفار الخمسة، حيث وجد الباحثون أكثر من قصة

(١)العهد القديم دراسة نقدية، د.على سري محمود المدرس، ص٣٠، ٣١.، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

(٢)التوراة اليهوديه مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات الآثار، د. إسرائيل فنكلشتاين، د. نيل إشر سيلبرمان، ترجمة أ. سعد رستم، ص٣٥. بتصرف بسيط. ، صفحات للدراسة والنشر – ب. ت.

مكررة: فهناك قصتان للخلق وقصتان للعهد مع إبراهيم عليه السلام وقصتان للطوفان. ومن هنا بدأ الباحثون في دراسة هذه المشكلات دراسة نقدية[١].

كان السؤال الأول، هل من الممكن أن يكون موسى حقًا هو مؤلف كل الأسفار الخمسة الأُول من الكتاب المقدس العبري المعروفة بكتب موسى؟ كيف ذلك والسفر الأخير منها أي سفر التثنية يصف تفصيليًا ظروف موت سيدنا موسى – عليه السلام - ووقت وفاته بالتحديد، وليس هذا فحسب بل سرعان ما ظهرت تناقضات أخرى أيضًا، فالنص التوراتي ملئ بالتعليقات الجانبية الأدبية التي توضح الأسماء القديمة لبعض الأماكن، ويلاحظ كثيرًا بأن أدلة الأحداث التوراتية المشهورة ما زالت مرئية إلى يومنا هذا. ومما يدل على أن التوراة كتبت بعد سيدنا موسى – عليه السلام- أن هناك نصوصًا في التوراة الحالية دالة على ذلك.

لقد أقنعت هذه العوامل بعض علماء القرن السابع عشر أن أسفار الكتاب المقدس العبري الخمسة الأولى على الأقل قد كتبت ثم وسعت وزيفت لاحقًا من قبل محررين مجهولين ومراجعين متعددين على مدى عدة قرون[٢].

وبالإضافة إلى ذلك فإن التوراة الأصلية كانت وجيزة جدًا أمكن نقشها كلها بوضوح تام على حافة مذبح واحد يتكون من اثنتي عشرة حجرة حسب عدد الأحبار. فقد ذكر سفر التثنية قول سيدنا موسى –عليه السلام- لبني إسرائيل: "يوم عبوركم الأردن(النهر) إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تنصب لك حجارة عظيمة وتطليها بالكلس ومتى عبرت تكتب عليها جميع كلام هذه التوراة.. فإذا عبرتم الأردن تنصبون هذه الحجارة التي أنا آمركم بنصبها اليوم على جبال عيبال(أو جرزيم) وتطلونها بالكلس وتبنون هناك مذبحًا للرب إلهكم مذبحًا من الحجارة لا ترفع عليه حديدًا من حجارة غير منحوتة تبنون مذبحا للرب إلهكم... وتكتبون على الحجارة جميع كلام التوراة كتابة واضحة" فدلّ ذلك على أن حجم التوراة الأصلية أقل بكثير من التوراة الحالية(الأسفار الخمسة) لأن المذبح اتسع لكتابتها ولو كانت التوراة

(١)المصدر اليهوي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية، د شريف حامد سالم، ص٧.، ط٢٠١١م، مكتبة مدبولي- القاهرة.
(٢) التوراة اليهودية مكشوفة ، ص٣٥، ٣٦.

الأصلية عبارة عن هذه الأسفار الخمسة لما أمكن ذلك[١].وفي التوراة نصوص كثيرة توضح هذه المسألة.[٢]

٢-عدم التجانس.

من خلال بحث العلماء في التوراة الحالية شعروا بأنه كتاب غير متجانس[٣]، وقد اكتشفوا ذلك من خلال عدة أمور ظاهرة فصّل الكلام عنها القس فهيم عزيز فيما يلي: -

تكرار القصة أكثر من مرة: وسنعطي لذلك مثالًا أو مثالين علمًا بأن هناك الكثير من هذا النوع، فمثلًا تكررت مرتين قصة إبراهيم وخوفه أن يقول عن ساراي(سارة) أنها زوجته بل قال إنها أخته، وذلك في(تكوين ١٢: ١٠- ٢٠ثم في تكوين ٢٠: ١- ١٨). ومثال آخر في تسمية إسحاق فقد تكررت قصة تسميته عدة مرات(تكوين١٧: ١٧- ١٩) و(تكوين١٨: ١٢- ١٣) و(تكوين٢١: ٦) وتكررت قصة هاجر وهروبها من سيدتها التي أحست بالغيرة منها(تكوين١٦: ٤ -١٤) و(تكوين ٢١: ٩-٢١).

٣-عدم اتساق القصة والشرائع أيضًا:

فقد تُذكر بكيفية خاصة في مكان وبكيفية أخرى في مكان آخر. مثال ذلك أن خلق الرجل والمرأة حدثا معًا وبعد أن خلق الله في كل شيء فكانا آخر خليقة الله كما جاء في(تكوين١: ٢٦-٢٧) ولكن في(تكوين٢: ٧) خلق الرجل أولًا وتبع ذلك خلق

---

(١) راجع سبينوزا ،رسالة في اللاهوت والسياسة،ترجمة د.حسن حنفي ط ١ ٢٠٠٥،دار التنوير - بيروت ص٢٦٦، ٢٦٧، والشيخ رحمة الله الهندي –رحمه الله-، إظهار الحق، ج١، ص٣٦،دار الجيل-بيروت،ب.ت، و د/ محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص١٢٨،مكتبة الزهراء، القاهرة وسفر التثنية(٢٧: ٢-٨).

(٢)"فسمع الرب صوت إسرائيل وأسلم إليه الكنعانيين فحرمهم هم ومدنهم فسمي ذلك المكان حرمة" (عدد٢١: ٣) وهذا محال لأن الكنعانيين لم يهلكوا في عهد سيدنا موسى –عليه السلام.

"فأخذ يائير بن منسي منطقة أرجوب كلها إلى حدود الجشوريين والمعكيين وسمي باشات باسمه أي مزارع يائير إلى يومنا هذا" (تثنية٣: ١٤) وهذا النص لا بد أن يكون متأخرا كما يشعر من قوله إلى يومنا هذا.

"وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب وسائر شيوخ إسرائيل" (تثنية٣١: ٩) ويستحيل أن يكون سيدنا موسى –عليه السلام- قد قال ذلك بل لا بد أن يكون قائلها كاتب آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

(٣)أول من أشار إلى عدم تجانس التوراة هو الراهب النرويجي ريتشارد سيمون في كتابه(التاريخ النقدي للعهد القديم) سنة ١٦٧٨م، وقد أثار كتابه ضجة وسخطًا. دراسة الكتب المقدسةفي ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي: ، ص٢٧، ٢٨ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ط ١ ،مكتبة مدبولي –القاهرة..

الأشجار والنباتات(تكوين٢: ١٩) ثم خلق الحيوانات(تكوين٢: ١٩) ثم خلق المرأة أخيرًا(تكوين٢: ٢١ و٢٢). مثال آخر: جاء في(تكوين٦: ١٩-٢٠) أن الرب أمر نوحًا أن يأخذ زوجين من كل أنواع الحيوانات معه داخل الفلك، ولكن في(تكوين ٧: ٢-٣) كان الأمر الإلهي هو أن يحتفظ بسبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة وزوجًا واحدًا من الحيوانات النجسة.

مثال ثالث: جاء في(تكوين٤١: ٣٤) أن سيدنا يوسف –عليه السلام- نصح فرعون أن يأخذ ١/ ٥ الغلة التي تأتي بها سنوات الشبع بينما يتغير مضمون النصيحة في العدد التالي بأن يأخذ كل الغلة.

مثال رابع: بحسب(سفر العدد٢) تكون خيمة الاجتماع داخل المحلة، بينما في(خروج٢٠: ٢٤) نجدها خارج المحلة.

مثال خامس: في(خروج٢٠: ٢٤) كان هنالك أمر بأن يُبنى مذبح في كل مكان يُدعى فيه باسم الرب ويبني هذا على ما ورد في سفر التكوين(١٢: ٢٧، ٢٢: ٩، ٢٦: ٢٥، ٣٥: ٧) بينما يذكر(سفر التثنية١٢) أن المذبح لا يُبنى إلا في مكان واحد فقط يختاره الرب ويضع فيه اسمه.

٤ - صعوبة التتابع التاريخي:

ففي سفر التكوين(١٢: ١٠) نجد أن سارة كانت جميلة وكانت سبب إغراء لفرعون وعبيده. مع أنه كما في(تكوين١٧: ١٧) تظهر على أنها أصغر من إبراهيم بعشر سنوات ولذلك فقد كان عمرها في ذلك الوقت خمسًا وستين وقد مضى عمر الشباب.

مثال آخر: رجع يعقوب –عليه السلام- إلى فلسطين قبل موت أبيه(تكوين٣٣: ١٨) وقد حضر جنازته وقام بدفنه هو وأخوه عيسو(تكوين٣٥: ٢٩) وقد مكث مع خاله لابان عشرين سنة(تكوين٣١: ٤١). على هذا الأساس تكون المدة التي تغطيها القصة الواردة في إصحاحي(٣٤ و٣٥) حوالي ستين سنة ولكن إذا درسنا حياة يوسف –عليه السلام- وعرفنا أنه كان ابن سبع عشرة سنة عندما بدأ إخوته يحسدونه وأنه ولد بعد تسع سنوات من خدمة أبيه لخاله لابان ثمنًا لزواجه من ليئة وراحيل، وبحساب ذلك نعرف أن المدة التي تغطيها نفس القصة في الإصحاحين نفسهما لا تزيد على ثلاث عشرة سنة[١].

وهكذا نجد أن هذه العوامل وغيرها جعلت العلماء يفكرون بأن هناك أكثر من مصدر وراء هذه الأسفار وأنها لم تأخذ معلوماتها من مصدر واحد بل من عدة

(١) د/ القس فهيم عزيز، علم التفسير، ص١٤٩، ١٥١،دار الثقافة –القاهرة،ب .ت.

مصادر، وهذه المصادر عبارة عن كتب تاريخية ومجموعات قانونية نشرت من قبل أوساط مختلفة في بني إسرائيل على مر العصور وقد تجمعت في مراحل متتالية[١].

من خلال هذه الأدلة يتبين أن هذه التوراة الحالية لا ترجع إلى زمان سيدنا موسى –عليه السلام – بل صنفت بعده ونُسبت إليه باطلًا وزورًا.

الرؤى المتباينة لمصدر التوراة (التقليدية - العلمية).

عندما تتعلق القضية بمسألة تدوين التوراة، ومصادرها وكيف تم ذلك "فمن الضروري أن نشير إلى الرؤى المتباينة لهذا الأمر:

فهناك الرؤية التقليدية (traditional view) التي ترى أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة وذلك في المدة من ١٢٨٠ق.م إلى ١٣٥٠ق.م.

ومن ناحية أخرى هناك وجهة النظر الوثائقية أو العلمية إن صح التعبير(scholarly view)على اعتبار أن سيدنا موسى عليه السلام هو كاتب الأسفار الخمسة قد اصطدم بمشاكل نقدية عديدة أثارت اهتمام الباحثين منذ وقت بعيد، إذ كيف يمكن أن يكتب موسى عن وفاته! وكيف يصف نفسه بأنه أكثر الناس تواضعًا على وجه الأرض! وكيف يكتب أنه لم يقم بعده نبي آخر في بني إسرائيل؟.[٢] إضافة إلى مشكلة التكرار في نص الأسفار الخمسة إذ تتكرر بعض القصص مرتين أو ثلاثة[٣].

ومن الناحية الفنية لوحظ أن نص التوراة هذا جاء على شكل أربع روايات على الأقل، اثنتان بارزتان تمامًا، فما من حادثة إلا رويت أكثر من مرة، وإنما أحيانا مع تغيير بأسماء الأبطال، وهذا يوجه من جديد إلى إعادة النظر، بأن يكون الذي صنف التوراة هو كاتب – من حيث الأصل- واحد، بل كتاب، وكتاب أيضا هم الذين دمجوا الروايات بعضها ببعض[٤].

الأسباب المؤكدة على تعدد المصادر: توصل الباحثون إلى ضرورة وجود أسباب لهذا التكرار، وأن هناك نصين داخل التوراة: نص يغلب عليه استخدام لفظ الألوهية (إلوهيم)، ونص يغلب عليه استخدام لفظ الألوهية (يهوه). [٥]

---

(١) المرجع السابق، ص١٥١

(٢)من كتب التوراة، ريتشارد إليوت فريدمان، ترجمة: عمرو زكريا، ص ٨، ط٢٠٠٣من دار البيان للنشر والتوزيع.

(٣) السابق،الصفحة نفسها.

(٤)التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، د.سهيل زكار،، ص٨٣،٨٤. بتصرف بسيط ط٢٠٠٧م، دار قتيبة.

(٥) المصدر اليهوي في التوراة، ص٧.

ويمكن تفسير ذلك بالقول " إنه في القرن العاشر قبل الميلاد تقريبًا تم تحرير النص المعروف بالرواية(اليهوية) نسبة إلى الإله(يهوه) وهي التي شكلت فيما بعد بنية الأسفار الخمسة التي عرفت باسم أسفار موسى، وهو يعالج من أصل العالم إلى موت يعقوب، وهو صادر عن مملكة الجنوب ثم أضيف إلى هذا النص الرواية(الإلوهيمية) نسبة إلى الإله(إلوهيم) ثم الرواية الكهنوتية.[١]

ومن نهاية القرن التاسع حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد تكوَّن وذاع النفوذ النبوي مع إيليا واليشع، وهي أيضًا فترة النص الإلوهيمي، الذي يعالج الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف، ويرجع سفرا يشوع والقضاة وكتابات إيليا واليشع إلى هذه الفترة.[٢] لذا أكد ابن حزم في غير موضع على هذا الأمر مدعمًا رأيه بأدلة من التوراة مشيرًا إلى تعدد أسماء الألوهية وذكر بعض القصص أكثر من مرة موضحًا التناقض بينها، وهو أول من أشار إشارة واضحة إلى أن التوراة في صورتها الحالية من عمل الكهنة.[٣]

الآن، وبعد هذا التمهيد الضروري، والذي يستهدف الباحث من خلاله توضيح عدة نقاط يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- تعدد أقسام النقد الكتابي للتوراة.

٢- التطور المستمر سمة عامة في الديانة اليهودية، وفي التوراة بشكل خاص.

٣- عملية الجمع للتراث اليهودي بما فيه التوراة من أهم الأسباب التي تدعو إلى الشك وإعادة النظر.

٤- هناك رؤى متباينة حول مصادر التوراة، ما بين رؤى لاهوتية (تقليدية)، ورؤى علمية تتضمن مستجدات سيتناولها البحث.

---

(١) اليهود تاريخ وعقيدة، د/ كامل سعفان، ص١٣٦، دار الاعتصام، ب.ت.
(٢) السابق،الصفحة نفسها.
(٣) WWW.ISLAM75.3LAMA.NET

المبحث الأول

تاريخ علم النقد المصدري

إن الوقوف على تاريخ الأفكار من الأمور المهمة للبحث، رغم أن هذا البحث ليس تاريخيًا بالمعنى المنهجي إلا أن لها أسباب وطيدة بالفكرة الرئيسة فيه، وذلك لارتباط الفكرة الأساسية بمنهجيتها؛ لذا وضمن مراحل مختصرة يمكن التعرف على تاريخية النقد المصدري للتوراة، لأضع الفكرة ضمن بيئة تاريخية تعبر عن الحركة النقدية للكتاب المقدس عمومًا، وللتوراة وللمصادر التوراتية خصوصًا حيث أخذ علم النقد المصدري عدة صور أعرضها على النحو التالي:

١- مرحلة واقعية علم النقد المصدري مع الحذر من مباشرته.

في زمن الاضطهادات والفتن تتضائل الجوانب المعرفية والعلمية التي تقود المجتمعات إلى الانفتاح والمستقبل، وأيضا تزداد أشكال التشدد الديني والفكري، وهذا ما حدث في أوربا فيما قبل الثورة ضد الكنيسة.

أما فيما يتعلق بالسبب المباشر فقد " كان للكنيسة مواقف بشعة ومروعة مع العلم التجريدي وأهله فحاربوا العلم وأحرقوا أهله، فلم يرحموا صغيراً ولم يوقروا كبيراً، ولأجل ذلك أسست محاكم التفتيش التى لم يسمع التاريخ بمثلها حيث يكفى أن يتهم أحد بالهرطقة كي يسام سوء العذاب ومن أوائل العلماء الذين سامتهم الكنيسة سوء العذاب كوبرنيكوس ففى عام ١٥٤٣م حرمت الكنيسة كتبه حول الأجرام السماوية وحرقتها، وعذبوا فى عام ١٦٤٢ العالم جرادانو الذى صنع أول تلسكوب وهلك تحت العذاب وعمره سبعون عاما أما الأب الروحى لعلم النقد التاريخى والنص فهو (سبينوزا) حيث مات مشلولا. وفى سنة ١٦٧٠م وبعد فترة قصيرة من طبع كتاب الليفياثان أصدر بنديكت سبينوزا (Benedictus Spinoza) آراءه الفلسفية (Politicus Tractatus Theologic) الذى لم يتأثر بآراء هوبس وبما جاء به وأيضاً عرض شكه فى كتابة موسى لأى جزء من الأسفار الخمسة، واهتم الكتاب بخبرات سبينوزا وفلسفته فى وحدة الوجود (Pantheism) وبحث بصورة عرضية نقد العهد القديم. وقد لاحظ سبينوزا فى سفر الخليقة ١٤:١٤ عبارة تعقب إبراهيم أعداءه حتى دان. وهنا أخذ سبينوزا يتساءل بأن دان فى عصورها الأولى لم تعرف بهذا الأسم بل باسم آخر هو لاخيش (Lachish).

وهذه تدل على أن هذا الفصل وتلك العبارة لابد أنها كتبت فى زمن لاحق.

ووجد سبينوزا أثناء تفتيشه عن دليل يدعم آراءه أن ابن عزرا الحبر اليهودى

قد بين سنة ١١٥٠م بأنه يشك بكون موسى قد كتب الأسفار الخمسة ولكن عليه السكوت خوف سريان الشك إلى العقيدة [١]. ولم يتقبل الكل آراء سبينوزا وأصدرت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية سوية ٣٧ قراراً ضده فى الوقت الذى حكمت الجالية اليهودية بنفيه .[٢]

كماحصل ريتشارد سيمون الراهب النرويجى على نسخة من كتاب سبينوزا بعد الثورة على الكنيسة، وتبارت الدول الأوروبية حامية الكنيسة ضد هذا النقد المباشر وردة فعل الكنيسة منه الشرارة التى أشعلت الثورات الأوروبية على كنائسها وظهور مبدأ العقل والطبيعة.

٢- مرحلة انتشار تراجم الكتاب المقدس والمساهمة في إبراز علم النقد.

من العوامل التى ساعدت على نشأة هذا العلم انتشار تراجم الكتاب المقدس باللغات الأخرى وذلك لأجل أن الكتاب المقدس لم يكن متداولا متاحاً حتى فواتح القرن السادس عشر. بل إن أول إنجيل يونانى هو إنجيل إيراصوص ، فلما ذاع انتشاره أخذه العلماء بالنقد والدراسة والتحليل، ولا ننسى فى هذا المقام كيف كان موقف الكنيسة كعادتها سلبى فيما يتعلق بالطابعة ومخترعها، وانظر إلى موعظة أحدهم وخوفهم من انتشار العلم والمعرفة والطباعة فقد قال " يجب أن نستأصل الطباعة وإلا فهى لا محالة ستستأصلنا " لذا فالكثير من الأبرياء قد تم حرقهم وما ذاك إلا بسبب أنهم اهتموا بطباعة الكتاب المقدس كما حدث فى عام ١٥٣٤م لـ ٢٠ رجلا وامرأة ولأجل ذلك الضغط فقد حرمت جامعة السربون الطباعة كما فى عام ١٥٣٥م ولا شك أن الفضل ينسب لأهله فالعرب هم من استجلب الورق إلى أوروبا المظلمة وهم من أعانوهم فى اكتشاف آلة الطباعة فى عام ١٤٥٧م كما ذكره يوسف رياض[٣].

٣- تحول النقد المصدري غير المعلن إلى نقد معلن مباشر.

نتيجة لهذه الأجواء المتخمة بالكراهية للكنيسة وطغيانها على الشعب والعلماء. لجأ العديد من المفكرين والعلماء إلى توجيه النقد المباشر والأسئلة الحائرة لعلماء الدين ورجال الكنيسة عليهم أن يحاروا لأسئلتهم جواباً.

ويحق لأى منا أن يثير التساؤل، لماذا كل هذا الحرص على إخفاء الكتاب المقدس وتحريم تداوله لدى الناس بعامة والعلماء بخاصة، والإجابة بالقطع واليقين هو الحرص ألا يكون الكتاب المقدس عرضة للتحليل العلمى، فنكشف زيف الحالة

---

(1)91-97 : Dufll .op. cit .p.133.نقلا عن العهد القديم ، د /سامى سعيد الاحمد ص ٢١٩

(٢)نقد العهد القديم ، د/ سامى سعيد الاحمد ص ٢١٩.

(٣)المؤسس في نقد الكتاب المقدس ص ١٧.

المقدسة التى تلتف ردحاً من الدهر فينتج عن هذا هرطقة عامة.[١]

٤-نشوء علم المصادر وسلامة النص.

إن تعود علماء الآثار والمؤرخين والباحثين الكتابيين زمنًا طويلًا على النظر إلى الكتاب على أنه تاريخ، وفهمه، في الوقت نفسه تراثًا فكريًا ثريًا من الناحية الدينية وأساسًا لكل من اليهودية والمسيحية، قد منح وجهة النظر هذه سلطة تتجاوز المعقول.[٢] دون استناد إلى أدلة موضوعية، أو معرفة علمية بالتوراة، ومن البدهي أن يتحرى المؤرخ، بما تفرضه عليه الكتابه التاريخية السليمة الدقة والحذر، ما أمكنه، في تصديقه لوقائع معينة ليكون موضوعيًا في عرضه وتحليله لها.حتى كتبهم الدينية داخلها تغيير وتبديل، وأقنعوا العالم بصحتها، وبدعاوى الصهيونية ومزاعمها وروجوا لفلسفتها.[٣]

٥- وجود علماء تأريخ التوراة.

أ)هنسي عالم التاريخ واللاهوت الذي كان مختصًا بعلم التوراة ودافع كثيرًا عن واقعها بجدية من خلال ندوات، وأبحاث كثيرة، لكنه لم يستطع أن يثبت التوراة دعوة، ولكنه استطاع أن يقدم إثارة علمية حول الوضع التاريخي للتوراة، وهذا رأي كثير من الباحثين وعلى رأسهم الدكتور(رايت)، لكن هنسي قدم للمكتبة نظرة تستحق الدراسة حيث أنه هذب الأحداث التاريخية واعتمد لها خلفية إيمانية من واقع التوراة وقصتها التي في نظره أنها كانت قضية لها هموم.

ونحن نسأل: كيف سيكون ذلك؟ فمعظم الأجزاء التي جمعها(هنسي) حول واقع القصة التوراتية كانت مغايرة إلى النص بالإيمان حيث تعامل هذا النص مع القصة التوراتية مؤكدًا حدوثها، واعتبرها جزءًا من القاعدة الإيمانية.

كثير من العلماء درسوا أبحاث(هنسي)، ولكنهم لم يتفقوا معه إلا بطلب واحد وهو طلبه. وهذا الطلب: أن تكون أبحاثه تحت سيطرة الكشف الأثري الذي من خلاله يمكن معرفة الإنسان الأول.[٤]

ب) فلهاوزن منذ قرن تقريبا ، استخلص جي فلهاوزن من نتائج ما يزيد علي عقدين من الدراسات النقدية –التاريخية للعهد القديم ما سمي " الفرضية الوثائقية " لأصول الأسفار الخمسة . توصلت هذه الفرضية إلي أن الأسفار الخمسة الأولى

---

(١) السابق : ص١٨.
(٢) الماضي الخرافي(التوراة والتاريخ، توماس طمسن، ترجمة: عدنان حسن، ص٣٣، دار قدمس للنشر والتوزيع، ب.ت.)
(٣) اليهود في العالم القديم، د/ مصطفى كمال عبد العليم وزميله، ص٥.
(٤) التوراة: تاريخا – أثريا – دينا، ص٨٩.

والكتب الستة الأولي من الكتاب المقدس قد تم تشكيلها من أربعة عناصر مستقلة عن بعضها في الأصل (يشير إليها الدارسون بصورة عامة ب :"جي ، اي ، دي، بي"، (وهي المصادر اليهوية والإيلوهية والتثنية والكهنوتية) وتعود بتاريخها من العهد الملكي القديم إلى عصور ما بعد النفي.(١)

هدف فلهاوزن من تحليله النقدي للأسفار الخمسة الأولي، كان تاريخيا، وهو أن يثبت عبر تفهم تاريخ تأليف وتطور الأسفار الخمسة الأولي كنص مركب، بينات على التطور التاريخي لديانة إسرائيل القديمة، ولهذا حاول أن يحدد بصورة أولية تطورا زمنيا مرحليا، بعيدًا عن الأشكال البدائية للمعتقدات الدينية بدءا من عبادة إله واحد دون نفي وجود آلهة أخري (الهنوئية) إلي التفهم المدروس للوحدانية التنبؤية، وانتهاء بما فهمه هو علي أنه الطائفية الضيقة لحرفية كهنوتية ذات طابع مذهبي.(٢)

وبينما كانت أعمال فلهاوزن تتجه بشكل حاسم نحو عملية تاريخية إيجابية لإعادة بناء تاريخ الديانة الاسرائيلية، أدت مضامين الفرضية الوثائقية، وإلى حد كبير إلى نفي أي قبول لتاريخية مراجع روايات الأسفار الخمسة الأولي التي تشمل علي روايات الخليقة والأصول بحسب (التكوين ١-٢)، بل وعلي قصص البطاركة وتعاليم موسي . هذا الجانب من البحث النقدي التاريخي تضمن عنصرا جدليا خلافيا حول قبول أو رفض مقولة فلهاوزن التاريخية ...وبعد عقدين من النظرات الشخصية في غالبها، أصبح أسلوب فلهاوزن ...هو التفسير النقدي السائد بنهاية القرن.(٣)

كانت مساهمات فلهاوزن في دراسة التاريخ النقدية كبيرة جدا، إلا أن أيا منها لم يكن عظيما ومؤثرا كهذه المتعلقة بالأسفار الخمسة الأولي. ولا مبالغة في القول أن معظم الأبحاث التي تمت في القرن التالي حول الأسفار الخمسة الأولي والتاريخ القديم لإسرائيل ، كانت معتمدة علي فرضية فلهاوزن، أو رد فعل ضدها. والدراسات التي تمت خلال قرن، بعد فلهاوزن، وإلي حد كبير، نتيجة سيادة الفرضية الوثائقية، اكتسبت العديد من فرضياتها وتوجهاتها البالغة الاهمية، صفة البديهيات، مما أدي إلى نقل الدراسات التاريخية النقدية الي مسار بعيد عن التفكير الديني (ثيولوجيا) واعطاها طابعا تاريخيا علمانيا بصورة متزايدة.(٤)

---

(١) التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ،توماس ل .طومسون ، ترجمة :صالح علي سوادح ، ص ٩الطبعة الاولى ١٩٩٥م ، الناشر :بيان للنشر والتوزيع – لبنان.
(٢)التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ، ص ٩.
(٣) المرجع السابق ، ص ٩،١٠.
(٤)نفسه ، ص ١٠.

ج) (ماير) ومحاولة التوفيق بين المرويات التوراتية وتاريخ الشرق الأدنى القديم.

أحد زملاء فلهاوزن الأصغر سنا، وصديق حميم له في هال، (اي ماير)، هو الذي استند علي تحليل فلهاوزن الوثائقي واهتمامه الواسع بالمظاهر الانتروبولوجية في الثقافة العربية، وأضاف تعقيدا إلي أبحاث فلهاوزن اذ حاول التوفيق بين ماكان معروفا عندئذ عن تاريخ وجغرافيا العالم القديم. وهذا أدي إلي أول افتراق ناضج عن نقد فلهاوزن الأدبي. وبصورة خاصة في كتابه "الاسرائيليون والقبائل المجاورة لهم " أبدي ماير أنه يستحيل عليه مواكبة فلهاوزن والنقاد والوثائقيون الآخرون في القول بأن المصادر التوراتية جي .اي.بي (اليهوية والإيلوهية والكهنوتية) كانت وثائق منطقية مستقلة، لأنها تفتقر بوضوح لأي هيكل منطقي جامع.(١)

وبهذا تقترب أعمال ماير كثيرا من كتابات غونكيل (الذي درس معه كمحاضر في هال خلال الفترة من ١٨٨٩م الي ١٨٩٤م الذي تحوي العلاقة بين حكايات العهد القديم مع ما كان معروفا من الأدب العالمي والأدب الشعبي وتوصل الي معرفة واسعة للمرويات الشفهية التي قال، منذ وقت مبكر، أنها تشكل أساس الحكايات التوراتية ، وبعد ماير، وجدت اهتمامات غونكيل التاريخية الواسعة النطاق، لا سيما محاولته فهم تاريخ إسرائيل في ضوء التاريخ العالمي والدراسات المقارنة بدلا من الاقتصار علي النقد الأدبي.(٢)

علماء نظرية تقسيم المصادر وتشعبها:

انحصرت مدرسة فلهاوزن في بحث أسفار العهد القديم والتعرف من خلالها علي تسلسل أحداثه، ولم تتوقف عند حدود التعرف علي طبيعته، وقد انتهي البحث بعد عدة أجيال علي يد علماء نظرية تقسيم المصادر، وعلاوة علي هذا التقسيم للمصادر فقد أضافوا تشعيب المصادر التي اعتبرت كاملة وتامة. وبدأ العلماء يقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة وأجزاء مميزة، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدرين اليهوي والالوهيمي، اللذين هما طبقا لرأي هذه المدرسة نتاج مؤلفات شعبية، ولهذا تكثر فيهما القيم والأساليب، والإشارات للمكان والزمان، وتنقصهما الوحدة الداخلية المميزة أكثر للمصدرين التثنوي والكهنوتي(٣).

---

(١)نفسه، ص ١٢.
(٢)التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ص ١٢.
(٣)نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي الإسلامي: د.أحمد محمود هويدي،ص١٧٠، ط ٢٠١٤م، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

إن الاكتشافات الأثرية الواسعة في الشرق الأوسط، وأبرزها اكتشاف مخطوطات للعهد القديم في منطقة البحر الميت ١٩٤٧م، تعود إلى القرن الأول ق.م، مما أدى إلى إعادة النظر في النصوص المتداولة والحق أن اكتشاف موقع قمران على البحر الميت حيث كانت تعيش هذه الجماعة(الآسينين)، وحيث تركت لنا إرثًا غنيا من مخطوطات(التوراة) و(التوراة المنحولة) إضافة إلى(كتب الملة) نفسها، أعاد فتح ملف تاريخ الدين اليهودي والتاريخ الديني للمنطقة بشكل عام. وقد جاءت المخطوطات التي حققت ونشرت على مدى أكثر من خمسين عامًا، لتكشف عن جوانب مفاجئة إلى حد كبير من حيث التطور التاريخي والسياسي للدين اليهودي في العصور السابقة للميلاد وتأثره بالتغيرات العاصفة التي كانت تشهدها المنطقة(١).

وعند الدراسة المتمعنة، تبين أن اليهودية نفسها قامت على إضافات وتأليفات مستمرة عبر قرون كثيرة في محاولة لبناء دين يكون أساسًا لبناء قومية لم يكن لها مقومات الاستمرار أصلًا.(٢)

وقد ساعدت الاكتشافات الأثرية والتقدم التكنولوجي في الكشف عن مصدر آخر للمعرفة باكتشاف حضارات بلاد النهرين(البابلية والآشورية)، والحضارة المصرية القديمة، والكنعانية، والعديد من النقوش والكتابات التي أسهمت في تنوع دراسات العهد القديم وتطورها تطورًا غير مسبوق. وقد نشأ على إثر هذا النشاط جيل من الباحثين ممن اهتموا بدراسة العهد القديم دراسة حرة، وتبني نتائج دراساتهم –بغض النظر عن اتفاق هذه النتائج أو اختلافهما- مع النصوص التي يدرسونها، ونتيجة لذلك تنوعت مدارس نقد العهد القديم تنوعًا كبيرًا، وسوف نشير هنا إلى بعض هذه المدارس النقدية ومناهجها وطريقة عملها، ونكتفي منها بمدرسة النقد التاريخي، ثم مدرسة النقد النصي، ثم مدرسة النقد الأدبي، ونختم بالحديث عن مدرسة النقد المصدري.(٣)

وخلال القرن التاسع عشر الميلادى وعن طريق الحفائر التى بلغت ذروتها فى تلك الأثناء وفى بدايات القرن العشرين فى كل من مصر والعراق وسوريا تم الكشف عن تراث حضارى بالغ الروعة يفوق كل ما أنتجته اليونان القديمة وما ورد فى العهد القديم علاوة على أسبقيته التاريخية على كل من التراثين الإغريقى

(١) التوراة كتابات مابين العهدين: (الكتب الآسينية ١)، حققت بإشراف: أندريه دودون – سومر مارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، ص٥، ط١، ١٩٩٨م، دار الطليعة الجديدة – دمشق.

(٢) التوراة كتابات مابين العهدين: (الكتب الآسينية ١)، ص٥.

(٣) د/ أحمد عبد المقصود، مناهج النقد الغربي للعهد القديم مقال منشور على شبكة الانترنت.

والعبرى حسب ما أرخ العلماء لتلك المكتشفات الأثارية فى المنطقة.

وقد كان من نتاج ذلك أن اتجهت أنظار العلماء والباحثين إلى الشرق سواء علماء الأثار أو اللغات أو التاريخ أو الأنتروبولوجيا أو حتى علم النفس وغيرهم وزاد الاهتمام العربى بالآثار المادية والفكرية التى أنتجتها الحضارات القديمة فى الشرق الأدنى القديم.(١)

لقد مكنتنا أكثر من مائتي سنة من الدراسة المفصلة للنص العبرى للكتاب المقدس والاكتشافات الأثرية التى يتسع نطاقها بشكل مستمر فى كل الأراضى الواقعة بين النيل ونهرى دجله والفرات من فهم متى ولماذا وكيف ظهر الكتاب المقدس العبرى إلى عالم الوجود.

كما أنتج علم الآثار بنحو مذهل معرفه موسوعية للظروف المادية واللغات والمجتمعات والتطورات التاريخية فى القرون التى تطورت خلالها تقاليد وسنن إسرائيل القديمة بشكل تدريجى وهى فروق تمتد على فترة ستمائة عام تقريبا بدءا من حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م إلى سنة ٤٠٠ ق . م ، وأهم ما فى الأمر أن التحليلات النصية جنبا إلى جنب الشواهد الأثرية مكنتنا من التمييز بين القوة والشعر القصصى للكتاب المقدس وبين الأحداث الأكثر واقعية لتاريخ الشرق الأدنى القديم .(٢)

وبين العهد القديم(كتاب اليهودية المقدس) والشرق الأدنى القديم، تثور العديد من المشكلات البحثية. فبعد المكتشفات الآثارية والدراسات والأبحاث التي تناولت هذه المكتشفات، لم يعد العهد القديم هو الممثل الوحيد لتراث الشرق الأدنى القديم، بل ولم يعد أقدمها ولا أبدعها. لذا فقد تعددت الدراسات التي تخصصت في دراسة تراث المنطقة متضمنًا نصوص العهد القديم. وتوصلت الغالبية العظمى من الباحثين إلى أن نصوص العهد القديم مقتبسة من تراث المنطقة، كما ذهب الكثيرون منهم إلى أن العهد القديم يحتوي على العديد من صور الأدب الشعبي، وعلى رأسها الأساطير.(٣)

---

(١) أساطير التوراة الكبرى ، د. كارم محمود عزيز ، صـ٧ ، ٨ ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ، مكتبة النافذة – الجيزة.

(٢)التوراة اليهوديه مكشوفة على حقيقتها : رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات الآثار ، د. إسرائيل فنكلشتاين ود. نيل إشر سيلبرمان ، ترجمة أ. سعد رستم ، صـ ٢٧، ٢٨ ، صفحات للدراسة والنشر – ب. ت.

(٣) أساطير التوراة الكبرى، د/ كارم محمود عزيز، ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر.

إن أسفار الكتاب المقدس لم يكتبها مؤلف واحد في عصر واحد لجمهور واحد بل كتبها مؤلفون كثيرون في عصور متعاقبة، لجماهير مختلفة في المزاج والتكوين، ويمتد التدوين إلي ألفي عام وربما أكثر من ذلك.(١)

وبعد، فإن خلاصة ما يمكن قوله تجاه هذه المسألة أن هناك عدة مراحل تاريخية مر بها " علم النقد المصدري" أدت إلى تطوره يمكن إجمالها فيما يلي:

١- أدت المواقف البشعة للكنيسة الغربية تجاه العلماء إلى الحذر من مباشرة نقد الكتاب المقدس.

٢- بعد الثورة ضد الكنيسة بدأ انتشار تراجم الكتاب المقدس مما عزز في إبراز علم النقد.

٣- باستمرار الوقت تحول النقد غير المعلن إلى نقد معلن ومباشر.

٤- ازداد علماء التوراة الذين ربطوا بين الوقائع والمكتشفات العلمية الحديثة، وبين ما جاءت به التوراة من مخالفات لمقررات العلم والتاريخ.

٥- ساهمت الاكتشافات الأثرية في الشرق الأوسط في تطور النقد الكتابي حتى ظهرت نظريات المصادر المتعددة.

أنواع الانتقادات الموجهة إلى التوراة.

علينا بعد ذلك أن نتوجه نحو منحى هام وضروري بالنسبة لتاريخ علم النقد المصدري، وهو ضرورة التعرف على الانتقادات الموجهة إلى التوراة وأنواعها، وهذا يعد استكمالا للمعطيات اللازمة للبحث.

من هنا يمكن القول أن أنواع الانتقادات الموجهة إلى التوراة تشتمل على:

١-نقد العلم التجريبي.

إن ما طرحه النقاد حول التوراة، من مجمل آرائهم واتجاهاتهم يتمثل في: نقد العهد القديم ويمكن تصنيف الانتقادات التي وجهت إلى العهد القديم من بداية العصور الحديثة إلى أربعة أنواع منها: هجمات علماء الطبيعة: ففي حقل علم الفلك فإن ما توصل إليه كوبر نيكوس في القرن السادس عشر والسابع عشر كانت بمثابة تحد كبير لسلطة الكنيسة الكاثولوكية وفي القرن التاسع عشر جاءت الاكتشافات في حقول الجيولوجيا وعلم المتحجرات والتي كانت بأجمعها ضربة إلى ما ورد في الكتب الأولى من العهد القديم(التوراة)(٢).

---

(١) كيف زيف اليهود الكتب المقدسة ص١٧.

(٢)نقد العهد القديم ، د .سامي سعيد الأحمد، ص ٢١٥ بحوث مهداة إلى الدكتور أحمد سوسة - بدون

أيضا "الاكتشافات العلمية الحديثة ولا سيما نشوء الكون ومقارنتها بما ورد في أسفار العهد القديم. وبعد دراسات طويلة توصل النقاد في الغرب إلى نتائج تعد مصدقة لما جاء في القرآن الكريم." (١).

٢-نقد البحوث الفلسفية ومن هؤلاء توماس هوبس(thomas hobbs) وفولتير وديفيد هيوم وغيرهم وقد طرح هؤلاء أسئلة ووجهوا استفسارات كانت بمثابة ضربة أفحمت من كان يتحمس للقول بقدسية العهد القديم.(٢)

وقد يقول قائل إن كانط وهيجل وغيرهما هم من أعداء السامية هذا المصطلح الذي أطلقه وليام مارMARR (١٨١٨ – ١٩٠٤) الذي اشتهر بتأسيسه لعصبة المعادين للسامية(١٨٧٩) ولكن ما الذي يدفع أيًا من كانط وهيجل أن يهاجم اليهودية رغم أن كانط وهيجل كانا أسيرين لدى اليهود من معاصريهما ومن غير معاصريهما إن لم يكن لما عايناه فيها من أعراض وظواهر تستدعي النقد الذي حدا بفولتير.(٣)

فى بداية العصر الحديث بدأ يتزايد الاعتقاد بأن موسى ليس هو كاتب التوراة وكان ذلك على أساس النقد اللغوى، ففى القرن السادسى عشر أشار: أندرياس بودشتاين كارلشتادت " A.B.Karlstadt إلى أن موسى لا يمكن أن يكون قد كتب الجزء الخاص بموته في سفر التثنية (٣٤: ٥-١٢أ). وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر أظهر كلاً من " أندرياس مازيوس " A.MASIUS و " بنتو بيريرا "B.Pereira التكرار والتناقضات الموجودة فى التوراة، وأوضحا أن التوراة الحالية كما هى موجودة لدينا لا تعود إلى عصر موسى ، وأنها بلا شك عمل متأخر اعتمد على مذكرات موسى وأضيف إليها مصادر أخرى .(٤)

٣-هيردر وبدايات النقد الأدبي:

عند النظر في تاريخ النقد الكتابي نجد مطورات للرؤية متعددة تجاه حركة النقد وأنواعه.

ومن أنواع التطور الموجهة تجاه الكتاب المقدس ما يعرف بـ (النقد الأدبي للعهد القديم).

بدأ العهد القديم يتحرر خطوة تلو خطوة من قيود الماسورا ويبتعد عن سحابة غيوم العصر الوسيط التي نسجت حوله، فكتب الباحث الإنجليزي "لوت" كتاباً بشأن

---

(١) العهد القديم دراسة نقدية، د/ على سري محمود المدرس، ص١١، ١٢، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.
(٢) نقد العهد القديم، د/ سامي سيد الأحمد، ص٢١٥.
(٣) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، د/ عبد المنعم الحفني، ص١٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ب.ت.
(٤) نقد التوارة في الفكر اليهودى والمسيحى والاسلامى - د/هويدى ص ٢٧٠.

شعر العهد القديم، وكشف لأول مرة عن طبيعة هذا الشعر بمطابقة الأجزاء التي تكون صورة شعرية (بيوطية) مألوفة.

كما أن الشاعر والمفكر الألماني (الأشكينازي) هيردر تفحص في ثنايا الكتابات المقدسة من خلال وجهة النظر الأدبية، ونظر إليها علي أنها نتاج فني لا يضاهيه شئ في سحره وحيويته.

وتعمقت رؤيته من خلال بلاغة المواعظ والرموز الواردة في سفر نشيد الأناشيد ، وقرر معالجتها علي أنها مجموعة مختارة من صفوة أناشيد الحب في الأدب الإنساني كله[١].

وتلخص هذه المجموعة روح جماعة بني إسرائيل في عهد الصبا، وقد أدرك أن الأدب العبري القديم، هو الشعر الإنساني "ميلاده" و "تتغلغل فيه روح الطبيعة والحرية والكمال والبراءة"، لذلك يسمع فيه "صوت الرب السائر خلال الكتابات المقدسة، أزال هيردر بهذا قناع القداسة الذي غطي الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلي العالم الدنيوي ثم ظهر جوته في أعقاب هيردر وواصل جهوده وتشجع للوقوف علي سر تأليف أقسام كاملة في العهد القديم، فقد قام الوصايا العشر في سفر الخروج علي القسم التقليدي لجبل سيناء في سفر الخروج ورأي أن الأولي هي الوصايا العشر الأولي والمقدسة، وبعمل هؤلاء الباحثين بدأت دراسة العهد القديم دراسة أدبية في ضوء الأدب العالمي القديم [٢]

إن هذه القضايا المرتبطة بالتوراة بصفة خاصة والعهد القديم بصفة عامة هى الأساس الذى بنيت عليه دراسات نقد العهد القديم فى الغرب فى العصر الحديث ...

النقد المصدري للتوراة:

جهود البروتستانت لعملية النقد الخارجي.

بعد زمن الفتن والاضطهادات في أوربا، بدا أن العلم هو عنوان اللحظة الراهنة في أنحاء أوربا على كل المستويات، وهذا بطبيعة الحال رافق حركة الإصلاح الديني في الغرب، وعند النظر في التوصيفات الخاصة بالنقد المصدري للتوراة فحصًا وتأملًا، نجد أن هناك اتجاهات نقدية، تعددت منظوراتها وتفاوتت في طريقة النظر لمصادر التوراة، ولكنها اتحدت في هدف واحد، ألا وهو: النقد التوراتي.

(١)المرجع السابق،ص ١٣٤.
(٢)نفسه،ص ١٣٥.

هذه الاتجاهات ظهرت رغم أن الإصلاح الدينى البروتستانتى كان تقدمياً فى طبيعته نظراً لتحديه سلطة الكنيسة الكاثوليكية فى روما، لكنه لم يؤد بصورة مباشرة إلى النقد الخارجى للعهد القديم، وقد أكدت المذاهب البروتستانتية الجديدة على قدسية الكتاب مما أوصد على الباحثين أبواب النقد الخارجى واضعين الثقل على النقد الداخلى، وعمدوا إلى جمع ومقارنة الكتب المختلفة منه والتى تروى – بحسب المتعارف عليه – كلمات الله. وأدى هذا التساؤل فيما إذا كانت أقسام من الكتاب فعلاً هى من كلام الله، ودرس مارتن لوثر الكتب الست والأربعين المحاطة بالقدسية ورفض منها سبعاً وهى المعروفة بالرؤى الرمزية (الأبوكريفا) (Apocrypha)، وهذا الرجوع إلى الفكرة (القانون الكنسي) هو ما تمسك به جيروم فى القرن الرابع المستندة على أسس ثيولوجية غامضة، وبين باحثو النقد الخارجي خطأ ذلك وأخذوا يتساءلون عن القانون الكنسي (Canon) والأسباب التى تجعل أياً من هذه الكتب مقدسة .

وبذلك يكون النقد الداخلى مرتبطاً مع النقد الخارجى وتكون الثورة البروتستانية قد ساعدت البحث فى النقد الخارجى[٢].

وأتت الخطوات الهامة فى النقد الخارجى من الفلاسفة، فكان توماس هوبس بكتابه الموسوم ليفياثان (Leviathan) سنة ١٦٦١ قد اهتم بالدرجة الأولى بأصول وطبيعة ميثاق سيناء وانبرى يتساءل عن أمور متعارف عليها ومسلم بها بين الكل من أن موسى نفسه قد كتب الأسفار الخمسة الأولى، فكيف يصف موسى ويفتخر بموته ودفنه ؟ ثم لما كان سفر العدد ٢١: ١٤ قد ذكر كتاباً أسماه (كتاب الحروب) كمصدر فكيف يكون موسى بذلك أول كاتب بين اليهود كما يقولون ؟ ثم هنالك عبارة فى سفر العدد تذكر أن اليبوسيين يسكنون القدس حتى الآن ، ولكننا نقرأ فى كتاب (سفر) صموئيل الثانى بأن اليبوسيين استمروا بسكنى القدس بعد االحتلال داوود لها. وبهذا يظهر أن العبارة (حتى الآن) التى نقرأها فى سفر العدد لابد وأن تشير إلى وقت تلا حكم داوود (١٠٠٤-٩٦٣ ق . م) أى بحوالى ٣٨٠ سنة بعد الزمن الذى

---

(1)J.T.Schotwell .The History of History (New York .1930) .pp. 140.James Westfall Thompson .A History of. History writing .2 vols (New York .1942) vol 2 .p.575 Archithald Duff . History old Testament Criticism (New York .1910). P.120 : Edward= =Queen Gray . old Testament Criticism its Rise and Progress form the Second Century to the end of the i lighteenths A.Ilistorical sketch (New York .1924) . p. 167 نقلا عن : نقد العهد القديم ، د/ سامى سعيد الاحمد ص٢١٨ نقد العهد القديم ، د/

يفترضه الباحثون لخروج موسى من مصر [١]

نقد الشكل والمصدر

هنا أود مبدئيًا أن أحدد نقطة الانعطاف في رد الفعل المحافظ على مدرسة تاريخ الأديان، في مناصرة أو. إيسفيلت(O.EISSFFELDT) لنقد المصادر في حواره الناجح مع نمو نكيل حول دور الفرضية الوثائقية في شكل النقد وكذلك دورها في إعادة بناء تاريخ إسرائيل القديم.

تسليم نمو نكيل بنقد إيسفليت أدى إلى فرضيات بعيدة الأثر ومازالت معقولة على نطاق واسع في مجال دراسات العهد القديم ومؤداها أن انتقادات الشكل والمصادر كانت إجراءات متكاملة عمليًا وبدلًا من الأساليب المختلفة والمتناقضة، أصبحت انتقادات الشكل والمصادر تؤلف جهدًا مشتركًا في مجال التأويل النقدي.[٢]

أنواع المصادر"التحليل المفصل –الشواهد الأثرية"

لقد مرت نظرية مصادر التوراة منذ نشأتها خلال القرن الثامن عشر وتطورها فى أوائل القرن العشرين بعدد من الأطوار نوجزها فيما يلى :[٣]

١- النقد الاجتماعي: دراسات علماء الاجتماع والأنثروبولوجية وعلم النفس: فقد كتب جيمس فريزر كتابه الغصن الذهبي(the golden boagh) الذي عرض فيه الكثير من أوجه تراثها وأساطيرها وملامحها التي ظهرت مشابهة لما ورد في العهد القديم.[٤]

٢- النقد الأثري: فك رموز الكتابات القديمة كالمسمارية والهيروغليفية مما مكن العلماء من معرفة اللغات القديمة ومن ثم الاطلاع الواسع على تاريخ الشرق الأدنى القديم من خلال النصوص والكتابات المكتشفة ومقارنة ذلك بما ورد في أسفار العهد القديم عن ذلك التاريخ.[٥]

لقد قاد التحليل المفصل للغة والأنواع الأدبية المتميزة للكتاب المقدس العلماء إلى تمييز المصادر الشفهية والمكتوبة التي استند إليها النص التوراتي الحالي. وفي الوقت نفسه أنتج علم الآثار، بنحو مذهل معرفة موسوعية للظروف المادية، ولغات

---

(1) Edward Mc queen Gray . op. cit .p.77167 نقد العهد القديم ، د/ سامى سعيد الاحمد نقلا عن ص/٢١٨/٢١٩

(٢) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص١٣.

(٣)نقد التوراة في الفكر اليهودى والمسيحى والاسلامى ، د/ هويدى ص ٢٧٠/٢٧١.

(٤) نقد العهد القديم، د/ سامي سيد الأحمد، ص٢١٥، ٢١٦.

(٥) العهد القديم دراسة نقدية، د/ على سري محمود المدرس، ص١١، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

المجتمعات، والتطورات التاريخية، في القرون التي تبلورت –خلالهما- تقاليد إسرائيل القديمة بشكل تدريجي، وهي قرون تمتد على فترة ستمائة عام تقريبًا، بدأ من حوالي سنة ١٠٠٠ق.م إلى سنة ٤٠٠ق.م، وأهم ما في الأمر أن التحليلات النصية جنبًا إلى جنب الشواهد الأثرية، مكنتنا من التمييز بين القوة والشعر والقصص للكتاب المقدس، وبين الأحداث الأكثر واقعيه لتاريخ الشرق الأدنى. (١)

وهنا يمكن القول أن دراسة العهد القديم تطورت على مر الأجيال. حيث كان يعتمد قبلاً على دراسة لغات الكتاب المقدس وتفسير نصوصه وتاريخه وجغرافيته والآثار التي يتصل بما ورد فيه. ثم أخذت دراسة العهد القديم تتجدد شيئًا فشيئًا حتى اقتصرت في النهاية على الناحيتين التاريخية والأدبية التي تتصل بأصل وتقنين كل سفر وانتقال النص من جيل إلى جيل. فدراسة العهد القديم تهدف إلى أن تقرر علميًا كيفية تقنيين الأسفار المقدسة. (٢)

أما بالنسبة لمصادر التوراة فقد "كانت آراء سيمون حول جمع مؤلفي العهد القديم لقصصهم من المصادر القديمة التي كانت في حوزتهم، خطوة هامة في طريق الكشف عن هوية كاتب العهد القديم(٣)اصطلح أهل العلم فى الكتاب المقدس أن " ريتشارد سيمون (١٦٧٨) هو أب هذا العلم وهو أول من شكك فى نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام بينما قال استروك "Astruc"في سنة ١٧٥٣ م أن موسى عليه السلام استخدم مصدرين مختلفين أحدهما سمى الاله " يهوه" بينما الآخر سماه " ايلوهيم ". (٤)

أولاً : أستروك ووثائق سفر التكوين:

في منتصف القرن الثامن عشر نشر الطبيب الفرنسي أستروك كتاباً بالفرنسية حول "النظرية بشأن المصادر التي استخدمها موسي، كما يبدو في تأليف سفر التكوين"

أهمية الكتاب الأساسية ليست في طريقة تصورات المؤلف، ولا النتائج التي توصل إليها ولا في وجهة نظره العامة، بل كانت رغبة أستروك دحض آراء نقاد العهد القديم السابقين له، غير أنه بالمصادفة كشف بداية جديدة. وبواسطة أنفسهم هذا البحث ووضعوا الأساس لنظرية المصادر التي يقوم عليها حالياً علم العهد القديم،

---

(١) التوراة اليهودية مكشوفة، ص٢٨.
(٢) الكتب التاريخية في العهد القديم، محاضرات ألقاها دكتور مراد كامل، على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية، ص٧، ١٩٧٨م، معهد البحوث والدراسات العربية –جامعة الدول العربية.
(٣) من كتب التوراة، ص٢١.
(٤) المؤسس في نقد الكتاب المقدس ، ص ١٨.

وذلك علي عكس رغبة أستروك في تنظيم الأحداث.[١]

قصد أستروك أن يبرهن أن التوراة في صورتها الحالية كتبت بواسطة موسي بخلاف رأي النقاد، غير أنه كان يقر أقوالهم، بأن موسي نفسه لم يكن شاهد عيان لكل قصص الروايات التي كتبها أي كل الروايات السابقة علي عصر موسي، وبشأن هذه الروايات يقول أستروك : إن مصادر قديمة كانت أمام موسي ، ومنها استمد آراءه وأقحمها داخل سفره .[٢]

وجد أستروك عندما فحص جوهر الأحداث في سفر التكوين أن اسم الألوهية ورد في صورتين في سفر التكوين، مرة باسم يهوه، ومرة أخري باسم إلوهيم، عندما عزل أستروك من داخل سفر التكوين النصوص التي تستخدم الصيغة "إلوهيم" وحدها، وتلك المستخدمة "يهوه" وحدها، ظهرت له روايتان مختلفتان، كل واحدة منهما تمثل رواية كاملة قائمة بذاتها، استنتاج أستروك من ذلك قاعدة، هي أن هذين هما المصدران الرئيسيان اللذان ألف منهما موسي التوراة.[٣]

بالإضافة إلي هذين المصدرين توجد بعض الأجزاء التي لا تدخل في نطاق أحد هذين المصدرين، وتستخدم هذه الأجزاء أسفاراً صغيرة قائمة بذاتها (مثل قصة لوط وبناته، قصة شكيم ودينه، قصة نساء عيسو وغير ذلك)، وتعالج معظم هذه الأجزاء تاريخ شعوب أخري، وطبقاً لرأي أستروك فقد كانت لهذه الأجزاء مصادر صغيرة وعديدة أحصاها في عشرة مصادر، موضحاً أن موسي تلقاها بلغة غير العبرية من الشعوب الأخري التي تجول بينها.[٤]

كان أستروك واثقاً أنه بتحديده هذا قد نجح في تفسير التناقضات واستئصال الأسباب التي أدت إلي التصور بأن موسي لم يؤلف التوراة ، معتقداً أنه منذ ذلك الحين وما بعده لن يكون هناك إنسان ذو عقل يشك في حقيقة الماسورا .

لم يعلم أستروك أنه بكتابه هذا الذي هدف من خلاله إلي أن ينكر نقد العهد القديم لأجل الرب، قد أضاف لنقد العهد القديم جرأة وقوة وأن مستقبل النقد دار في هذه الدائرة ، ووصل بها للمجال العلمي.[٥]

---

(١)تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار، ترجمة: أحمد محمود هويدي، ص ١٠٥.، ط ٢٠٠٠م، المجلس الأعلى للثقافة- مصر.
(٢)نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي الإسلامي : د/ أحمد محمود هويدي ، ص١٣١،١٣٠.
(٣)المرجع السابق، ص١٣١.
(٤)نفسه، ص١٣٢،١٣١.
(٥)نفسه، ص١٣٢.

ثانياً : أيشهورن ومنهجه في النقد:

لم يتم الترحيب بالآراء التي توصل إليها أستروك، فقد أعلن اللاهوتي ميخائليس أحد أهم علماء العهد القديم في عصره مصادرة كتاب أستروك، كما استهزأ به الساخرون في ذلك العصر، ولولا أن أيشهورن قد جاء بعد أستروك وأثني عليه وسانده، لبقيت تصورات أستروك مجهولة .

وقد كان أيشهورن واثقاً – أيضاً –أن موسي ألف التوراة في صورتها الحالية، وإن لم تكن لديه القدرة لإظهار صدق دفاعه بوضوح، فلا يعود ذلك إلي أن الفترة التي تفصل بيننا وبين موسي كبيرة فقط، بل لأنه لم يبق عندنا من ذلك الجيل أي شيء باستثناء أسفار التوراة.(١)

يدين أيشهورن بالفضل لأستروك بشأن المصادر القديمة الرئيسة "الإلوهيمي" و "اليهوي" اللذين ألف منهما سفر التكوين، واختلف معه اختلافات بسيطة بشأن بعض العبارات التي ينسبها أستروك إلي مصدر وينسبها هو لمصدر آخر...لم يكتف أيشهورن بإظهار اختلاف أسماء الألوهية فقط، بل وضح بإسهاب الاختلافات اللغوية، والصورة والخاصية الأدبية لهذين المصدرين الرئيسيين في سفر التكوين، ولم يقصر أبحاثه علي سفر التكوين بل واصل أبحاثه علي بقية أسفار العهد القديم (٢).

بينما نادى جراف ١٨٦٦ ، "Graf " بنظريته الشهيرة التى يقال عنها اختصاراً (EJDP)، فحرف (E) ترمز للمصدر الأيلوهى بينما حرف (J) ترمز للمصدر اليهوى وحرف (D)، يرمز لمصدر النسبة فحرف ترمز لـ (P) يرمز لمصدر الشريعة الكهنوتية(٣).

مع نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تقدم علم نقد العهد القديم في الغرب تقدمًا ملحوظًا، بعد أن كان هذا العلم محظورًا أو يكاد، بسبب موقف رجال الدين المسيحين والكنيسة التي عارضت وقاومت أي دراسة تتعرض للعهد القديم بالنقد.(٤)

ففي بداية هذا القرن كان علماء النقد الخارجي متفقين بصورة عامة أن كتب العهد القديم من كتابة أشخاص كثيري العدد خلال فترة تمتد إلى بضعة قرون. إلى

---

(١)تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث ،زالمان شازار ، ص ١٠٦وانظر أيضاً نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي الإسلامي : د/ أحمد محمود هويدي ، ص١٣٣،١٣٢.

(٢) نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي الإسلامي :د/ أحمد محمود هويدي ، ص١٣٤،١٣٣.

(٣) المؤسس في نقد الكتاب المقدس ، ص ١٨.

(٤) مناهج النقد الغربي للعهد القديم ،د. أحمد عبد المقصود الجندي، ،مقال على الانترنت.

جانب كون كتب أخبار الملوك الأربعة قد استمدت من عشرة مصادر على الأقل ودونت بعد فترة ليست بالطويلة من وقوع أحداثها المدونة في الوقت الذي استمدت به كتابات الهكستيوك(HEXATUCH) وهي الكتب الستة الأولى من العهد القديم من اكثر من خمس وثائق.(١)

و في هذا السياق يقول الباحث م. ريجسكي الذي ترجم آراء الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية: إن محرري التوراة المتأخرين الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجمل الأبيات النبوية فقط، تلك النبوءات التي كان مضمونها وأفكارها تنسجم على أكمل وجه مع المشروع الديني الذي كان قد تكرس عندئذ ثم اعتبرت تلك المؤلفات وحدها نبوءات حقيقية وكتابات مقدسة أما البقية فقد طواها النسيان والمحررون والنساخ المتأخرين كانوا يحشرون في مؤلفات نبي قديم –بلا استحياء يذكر- مقاطع يرونها مناسبة من تأليف مؤلف آخر عاش بعد ذلك النبي بزمن طويل. (٢)

ومجمل القول، فإن معظم الباحثين فى الدراسات التوراتية فى القرن العشرين جاءوا من أوروبا الغربية وإسرائيل، وأمريكا الشمالية، وهكذا فإنهم يرفعون من شأن " الدولة " سواء بشكل واع أو غير واع، ومجال البحث هذا، الذى حدده ساسون منذ أكثر من عقد من الزمان لم ينل الاهتمام الكافى، ولكن من حسن الحظ فإن أطروحة كرى Kray (١٩٩١م) أمدتنا بمعلومات قيمة جدا حول طبيعة ومضمون الدراسات التوراتية الألمانية، ابتداء من فلهاوزن Wellhausen حتى فون راد Von Rad خلال القرن الذى تأسست فيه تلك الدراسات من ١٨٧٠م حتى ١٩٧١م، فالسياق التاريخى لأعمال فلهاوزن له دلالات مهمة، وليس مجرد دلالات رمزية، يقول سمند Smend (1982:Bم)، تزامنت تماماً مع الفترة التى أسس فيها بسمارك الدولة الألمانية، وقد توفى فى ٧ يناير ١٩١٨م، فى السنة نفسها التى تأسست فيها الدولة ". ومنظور حركة التأريخ الألمانى، فيما يتعلق بمفهوم الدولة فى القرن التاسع عشر، قد حدد مسار الأبحاث الخاصة بتاريخ إسرائيل القديم منذ بداية نشوء هذه الدراسات وحتى اليوم.(٣)

والحقيقة، فإن استدلالانا بكتابات اليهود أو النصارى حول هذا الموضوع إنما هو من باب الاستشهادات من كتابات غير المسلمين وإلا فإن القرآن الكريم الذى هو

---

(١) نقد العهد القديم، د/ سامي الأحمد، ص٢١٧.
(٢)اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطينى تأليف : كيث وايتلام : ترجمة : سحر الهنيدى : مراجعة : د، فؤاد زكريا ، ص٥٣.
(٣)الحرب المقدسة في التوراة ،د. زياد منى ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، ص ٤٧،الكويت

دستور المسلمين يؤكد على تحريف اليهود للقرآن وكفى به شهيداً. وأيا كان الأمر، فقد أصبح الكل يجمع على أن الأسفار الخمسة(التوراة) ليست تأليفًا فرديًا واحدًا(كتلة واحدة)، بل تجميع وترقيع لمصادر مختلفة، كل منها كتبت تحت ظروف تاريخية مختلفة، لإبداء وجهات نظر دينية، أو سياسية مختلفة.[1]

من الواضح أن هذه الاتجاهات السالفة، تعد توصيفات جادة ومهمة في تاريخ النقد التوراتي، فكل واحدة لها إيحاءاتها وإشاراتها، ويصدق عليها القول أنها علامة مميزة في نقد التوراة، إما في مجال النظرية، أو في مجال القضايا.

من هذا المنطلق... يجد الباحث في التوراة أنه أمام عدة قضايا قصدها الباحثون قصدًا للحقيقة، وصدقًا في الغرض.

بالإضافة إلى ذلك فإن هناك ثمة تنوع شديد في مجالات البحث التوراتي تقترن بتحولات علمية أثارت عددًا من المسائل الهامة وخاصة في النقد التوراتي.

وفي هذا الإطار تبرز مسألة "النظريات المصدرية للتوراة" بوصفها أهم القضايا الأساسية في مجال البحث التوراتي.

(١) التوراة اليهودية مكشوفة، ص٣٨.

المبحث الثاني

نظريات مصدرية التوراة

هناك العديد من النظريات التي سعت إلى تفسير أصول ومصادر التوراة لعل من أهمها نظرية المصادر المتعددة، ولكن في نفس الوقت هناك من النظريات ما تعارض هذا الاتجاه لعل أهمها النظرية التقليدية (اللاهوتية) لذا يجب التعرض لمجمل هذه النظريات بقصد الإحاطة، وعلى اعتبار أنها مرتبطة بالنظريات المتعلقة بالمصادر التوراتية.

تتمثل النظريات المصدرية حول التوراة فيما يلي:-

١- النظرية التقليدية (اللاهوتية): اليهودية والمسيحية.

٢- النظريات المصدرية الحديثة

٣- النظرية الإسلامية. وسأفرد الحديث عن هذه النظرية فى نهاية البحث.

أولاً : النظرية التقليدية.

مؤرخو التوراة يبدأون عملهم بالاختلاف حول بداية تدوين التوراة، وذلك لاختلافهم حول تحديد من كتب التوراة وهكذا وجب على من يؤرخ للتوراة أن يتعرف على الإشكاليات الخاصة بمصادرها ومن ثم لم يعد كافيًا – في هذا الصدد- عرض الأحداث التوراتية من جانبها(اليهودي) فقط، وإنما وجب على الباحثين في هذا العصر ضم البحوث التاريخية والأثرية والعلمية بجانب البحوث الدينية حتى يمكن تحديد رؤية صادقة وقريبة من المسار التاريخي الصحيح.

سبب الخلاف بين المدرستين للتوراة:

يرى العلماء أن على التوراة مواجهة عدة مشكلات أساسية وهي:

أ- التكرار.

ب- الانتحال.

أولًا: النظرية التقليدية (اللاهوتية) اليهودية والمسيحية بين المعارضين والمؤيدين:

يسود الاعتقاد بين اليهود وآباء الكنيسة أن موسي عليه السلام هو كاتب التوراة . سادت هذه الرؤية منذ الغزو البابلي ليهوذا عام ٥٨٦ ق.م وحتي أوائل العصر الحديث. اعتمد اصحاب هذا الرأي علي إشارات تدل علي ذلك منذ القرن

الخامس قبل الميلاد، فنقرأ في سفر ملاخي (٣:٢١) اذكروا شريعة موسي عبدي التي أمرته بها في حوريب علي كل اسرائيل الفرائض والأحكام[١]. كذلك ورد في الأناجيل إشارات توضح أن موسي عليه السلام هو كاتب التوراة، فنقرأ في متي (٧:١٩) ..." قالوا له فلماذا أوصي موسي أن يعطي كتاب طلاق فتطلق " وكذلك (٤٧-٥) " لأنكم لو كنتم تصدقون موسي لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي ". كما توجد إشارات أيضا عند فيلون السكندري (٢٠ ق.م -٥٠م) ويوسيفوس فلافيوس (٣٨م-١٠٠م) تدعم هذه الرؤية. ورث آباء الكنيسة الأوائل أيضا هذا الاعتقاد، غير أنهم نسبوا العبارات الأخيرة من سفر التثنية والخاصة بموت موسي إلي يشوع بن نون[٢].

استمرت رؤية أن موسي هو كاتب التوراة خلال العصر الوسيط في الأوساط اليهودية والمسيحية، حتي جاء ابن عزرا.

يمكن القول إن هذه النظرية استمدت جذورها من وجهة النظر اليهودية المسيحية في مصادر التوراة. وتدور فكرة هذه النظرية حول صحة وصدق المصادر التي اعتمدت عليها التوراة، وتتمركز هذه النظرية حول أن التوراة بأسفارها تعطي شكلاً صادقًا للكتاب السماوي الذي لا يواجه في شكله ومحتواه أيه إشكاليات يتوهمها البعض –حسبما ترى هذه المدرسة- .

ومن أشهر رواد هذه النظرية: رجال الدين اليهودي، رجال الدين المسيحي (اللاهوتيون).

يرى أصحاب وجهة النظر الدينية(اليهودية – المسيحية) أن المصادر التي استقى منها كتبة الوحي المعلومات تتمثل فيما يلي:

١-الوحى الإلهي فالبنسبة للعهد القديم كان الروح القدس يعلن لهم ما لم يعرفونه من قبل فكان يرشدهم إلى الوثائق التي يحتفظ بها رؤوس الكهنة في الهيكل كمستند رسمي لوقائعهم- كما يدعون-.

٢-السجلات الرسمية: فلقد كان لبني إسرائيل بعض السجلات الرسمية يدونون فيها تاريخهم ومحفوظة في الهيكل.[٣]

---

(١) عزرا ٦ :٧ ، أخبار الأيام الثانى : ٤:٥٢.
(٢) مرقص ٢١ :٦٢ .
(٣) دليل العهد القديم، د/ ملاك محارب، ص١٤، ١٩٩٧، الناشر أبناء الأنبا رويس.

تلقت الكنيسة العهد القديم بالقبول والتصديق كوحي إلهي وكلمة الرب خطها إما بيده كما في الوصايا العشر، أوخطها موسى والأنبياء كما في التوراة وكتب الأنبياء، أوخطها رجال ملهمون بفعل تأثير الروح القدس كما في بقية الأسفار.

ولم يكن بالغريب أو المستنكر أن تقبل المسيحية العهد القديم بادئ الأمر كوحي تستمد منه ضوابط الحياة وتسن من شريعته القوانين واللوائح، وتبني عليه أساس الاعتقاد والإيمان، فالمسيحية بدأت كنحلة أو طائفة يهودية مؤسسها يهودي حسب المفهوم النصراني ولكنه عليه السلام حسب العقيدة الاسلامية ولد وعاش مسلماً رسولاً موحى إليه لم يؤسس ديناً بالمفهوم النصراني عاش وفق قوانين توراة إسرائيل وإخوتهم من الأنبياء من آل إبراهيم ونوح وآدم ممن اصطفى الله برسالته.

لكن ما يثير التساؤل حقًا هو احتفاظ الكنيسة بالعهد القديم على الرغم من انسلاخها من عباءة اليهودية، وإعلانها المسيحية دينًا عالميًا مستقلًا خلاصيًا، وبالتالي إبطال مفعول العهد القديم، وتفريغه من مضمونه، وذلك بتعطيل شريعته وإلغائها، وفتح باب التبشير بين غير اليهود، ذلك التغيير الذي تكفل به بولس، وفرضه في مجمع الرسل بأورشليم[١].

رأي اليهود:

كانت المواقف التقليدية لليهود والمسيحين تصر على فكرة أن التوراة الحالية هي تلك التي نزلت على موسى –عليه السلام- من السماء. فجاء الموقف اليهودي التقليدي يصر على الاعتقاد بأن موسى –عليه السلام- هو الذي كتب الأسفار الخمسة بوحي من الله حرفًا حرفا، بل وأصبح هذا الاعتقاد شرطًا لإيمان كل يهودي. ولا يختلف الأمر كثيرًا في المسيحية، غير أنها تنظر إلى أن حرفية النص كتبها موسى كبشر. فالتوراة في المسيحية كتاب سماوي ذو طبيعة بشرية. واستمر الاعتقاد هكذا حتى ظهرت الدراسات الحديثة فيما يعرف بمدرسة النقد المصدري.[٢]

تقسيم التوراة ومفهومها في الفكر الرابيني :

التوراة في فكر الرابيين هى أول دعامة يقوم عليها العالم فتقرأ فى المشناة أن العالم قائم على ثلاثة أمور التوراة والعبادة والعطاء، بل إن الإنسان مخلوق قد أوجدته اليد الإلهية من العدم من أجل التوراة فالتوراة أعظم من الإنسان فى الفكر اليهودى المتشدد وذلك لأن التوراة خلقت ! قبل الإنسان![٣]

---

(١)المعتقدات الدينية لدى الغرب ، د . عبد الراضي محمد عبد المحسن ، صـ٢٤٠ ، ٢٤١.

(٢) نقد العهد القديم: دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، شريف حامد سالم، ص١٦١، ١٦٢، ط١، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي –القاهرة.

(٣) التوارة في الفكر اليهودى،الراهيب سارافيم البرموسى، المقدمة .

إن التوراة عند اليهود لا تعنى أسفار موسى الخمسة فقط لأن التقليد الرابينى يفيد بأن موسى تسلم على الجبل كلا من التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية؛ لذا يرى الرابيون أن التوراة المكتوبة (أسفار موسى الخمسة) ليست كافية ولكنها تكتمل بالتوراة الشفهية (التقليد)؛ لذا فإن التوراة تنقسم إلى قسمين رئيسيين (حسب الفكر الرابينى) التوراة المدونة والتى تتضمن أسفار موسى الخمسة، والتوراة الشفهية والمكتوبة من المشناه والتوسفنا والتلمود (البابلى الفلسطينى والمدراشيم والترحوميم، وتنسب التوراة إلى موسى (منتقى الناموس) فتسمى توراة موسى، وأحيانا تنسب إلى يهوه (معطى الناموس) فتسمى توراة يهوه.[١]

لقد نزلت التوراة على سيدنا موسى – عليه السلام – حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. ثم توالى الوحى بعد ذلك على أنبياء بنى إسرائيل. ولقد بدأ تدوين بعض أسفار العهد القديم منذ منتصف القرن التاسع ق.م. أي بعد قرابة ثلاثة قرون ونصف من نزول التوراة، واستمر التدوين حتى ٥٨٦ ق.م. وهى السنة المعروفة بالسبى البابلى وزوال ملك اليهود وانتهاء الطور الأول للغة العبرية والشعب اليهودى[٢]

إن تدوين هذه الأسفار عرف بشكل رئيسى ثلاثة أدوار، وكان الدور الأول منها في العصر الأخمينى اعتماداً على محتويات وثائق المجمع الملكى الأخمينى فى مدينة الفرس، وجاء التدوين على يد عزرا الكاتب فى البلاط الأخمينى وبمبادرة منه فى ظل المؤشرات العميقة للديانة الزرادشتية، ولاسيما الجانب المجوسى منها، ثم أعقب ذلك الدور الثانى، وهو الدور الهلنستى، الذى بدأ مع الأسكندر المقدونى وانتهى مع عام ٧٣ ق.م إثر تمكن الجيش الرومانى من تدمير القدس وقتل سكان فلسطين، والرسم بعدم دخول اليهود إلى القدس، حيث تجمع فى بلاد بابل أكبر عدد من اليهود وهنا بدأ الدور البابلى أو الحاخامى، ففى هذا الدور امتلك اليهود رجال دين (حاخامات = حكماء) أعادوا النظر بنصوص أسفار العهد القديم تهذيباً وتكييفاً وتعديلاً وحذفاً واستمرت هذه العملية حتى القرن العاشر للميلاد، وكان أهم إنجازاته تصنيف التلمود البابلى متناً وشرحاً، وحذف ما يزيد على خمسة عشر سطراً من أسفار العهد القديم، وغالباً ما تحكمت الأهواء بعملية الحذف مع الاجتهادات الشخصية[٣].

---

(١) المرجع السابق ،المقدمة بتصرف.

(٢)الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين، د. محمد عبد السلام منصور، ص ١٧٠- المؤرخ العربي.

(٣) المحذوف من التوارة كاملا ، د/ سهيل زكار ، ص٥ بتصرف واختصار ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – بيروت .

ورغم أن غالبية اليهود وقتها " تشارك فى اعتبار الخماسية " أى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة كمرجع دينى، إلا أن بعضها كان له قراءته الخاصة لها، فضلاً عن قيام بعض الطوائف بإضافة أسفار أخرى للعهد القديم لم يعترف بها من قبل آخرين(١).

لم تحفظ على هذا النحو جميع آثار الأدب العبرى القديم، فأسفار العهد القديم تشير إلى المصادر التى استمدت منها مادتها، وهذا إلى أن بعض المخطوطات العبرية التى كشفت أخيراً بالقرب من البحر الميت تضم، عدا بعض نصوص العهد القديم ، كتابات أخرى ليست فيه (٢).

وهنا يمكن أخذ بعض النتائج الهامة فى تاريخ المصادر التوراتية والتى تشكل معطىً أساسياً وهى(٣):

١-علماء اليهود يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم أسطورى، وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية.

٢-اليهودية الارثوذكسية المستندة إلى شريعتهم نشأت فى بابل حوالى ٤٠٠ سنة قبل الميلاد فقط.

٣-علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفى إلى بابل.

رأي الكنيسة: إلهية التوراة (موقف أولي).

إحدى النقاط الإضافية التى تربط المصدر التاريخى للكتاب المقدس تهتم بالعلاقة بين اليهودية والمسيحية.

فمنذ بدايات حركة المسيح، والعهد القديم المسيحى أو الكتاب المقدس العبرى، كلياً تكون من مجموع الكتابات اليهودية.(٤)

---

(١)بنو اسرائيل ، د/ زياد منى ، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد ٦٣ ، السنة ١٦ صيف ١٩٩٨ ، ص ٦٨ – الكويت، وانظر: دائرة المعارف الكتابية ، جوزيف صابر وآخرون ، ج٤ ، ص٣٨١ ، د.ط ، دار الثقافة ، القاهرة.

(٢) الكتب التاريخية فى العهد القديم ، محاضرات ألقاها د/ مراد كامل على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية بمعهد البحوث والدراسات العربية ، ص ٥٠ /١٩٦٨ م

(٣) التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة وتعليق سهيل ديب ، ص٢٠/١٩ ، دار النفائس / ب . ت .

(4)flminist Interpretation of the Bible and Hermeneutics of Liberation , edited by Silvia Schroes & Sophia Bietenhard , P.46 Journal for the , study of the old Testament Supplement Series 374 , 2003 Sheffield Academic press .

ويعبرالعالم اللاهوتي بافل هيرونيم عن رأي الكنيسة في النص التالي: "الكتب الخمسة" هو الاسم المشترك لأسفار التوراة الخمسة الأولى. مؤلفها هو موسى. و"الكتب الخمسة" هي كتب صحيحة وأصلية، ولا شك في أصالتها كما أنه لا شك في أصالة الكتب الأكثر أصالة. وهي أكيدة كما هو أكيد وجود موسى نفسه، ولا يجوز رفض أصالة كتب يقرها إيمان أصيل لشعب وصفت هذه الكتب تاريخه ووصفت تشريعه وأسست عبادته الدينية، خاصة وأن هذه الكتب تتسم بطابع القدم الذي ينسب إليه...فروح القدم اللذان يتميز بهما هذا العمل، واستحالة التزوير، تؤكد كلها على أصالته تأكيدًا قاطعًا. لقد كتب موسى "الكتب الخمسة" بإلهام من الروح القدس.(١)

لقد أخذت الكنيسة على عاتقها الدفاع عن المعتقدات المسيحية وعن أصالة العهد القديم والتأكيد على أنه وحي إلهي، وتكفير كل من يقول بأنه نص إنساني حتى وإن جاءت الدراسات لتثبت ذلك، وقد تعرض العديد من العلماء الألمان للتكفير لأن أبحاثهم جاءت لتقول بأن أسفار موسى الخمسة(التوارة) هي في الحقيقة نتاج إنساني تم تدوينه في أزمنة متعاقبة وتعرض للتحرير مرارًا حتى وصل إلى صورته الحالية في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م." (٢)

لقد استمر هذا الاعتقاد سائدًا في الأوساط اليهودية والمسيحية حتى ظهرت الحركة النقدية للكتاب المقدس وخاصة ما عرف بمدرسة النقد المصدري. والتي أنتجت أبرز أفكارها فيما عرف ب (نظرية المصادر) و (الفرضية الوثائقية). (٣)

البحث التاريخي –النقدي المتراكم خلال القرن الفائت، كان في أفضل أحواله أكثر قسوة، ويهدد بصورة متصاعدة اي مشروع لاهوتي يقوم علي أساس تفسير الماضي علي أنه معياري (ثابت تماما) .(٤)

ثانيا: النظريات المصدرية الحديثة:

حاول الباحثون في نقد الكتاب المقدس في القرنين التاسع عشر والعشرين بناء نتاجهم العلمي والنقدي بشكل أكثر موضوعية ساعين إلى تأسيس منهج ساعد على صياغة نظريات نقدية مضبوطة ومنظمة من حيث الأدوات والمفاهيم والنتائج. برزت في هذا السياق محاولات جادة بحثت عن خطوات منهجية ساعدت في الوقت

---

(١) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ليوتا كاسل، ترجمة: د/ حسان ميخائيل إسحاق، ص٢٠٩، ٢١٠، ب.ط، ب.ت.

(٢) مناهج النقد الغربي للعهد القديم، د/ أحمد عبد المقصود الجندي، مقال على الانترنت.

(٣) التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ، ص ١١.

(٤)المرجع السابق، ص ١١.

ذاتـه إلـى إيجـاد نظريـات موضـوعية حاضـرة طرقـت ابـواب ميـادين النقـد الكتـابي وخاصة التوارتي فيه.

وفي هذا الصدد جاءت النظريات المصدرية للتوراة، ولكن يتبادر هنـا تسـاؤل هام وهو: على أي أساس وجدت المدرسة المصدرية تاريخياً، وعلى أي دليل تستند؟ إذا استقصينا تـاريخ المدرسـة المصـدرية نجـد أن هنـاك إنجـازات نقديـة مهمـة تؤسس للنظر النقدي في بعده الثوراتي، وتمثل للمدرسة المصدرية أساساً تاريخياً وسأعرض لها هنا.

يعود تراث "النظرية المصدرية" إلى مـا يزيـد علـى مـائتي عـام، هـي الأعـوام التـي مضت بداية من فك احتكار الدراسات التوارتية.

وعلـى الـرغم مـن أن مـا يـدفع هـذا البحـث هـو الرغبـة فـي دراسـة "النظريـات النقدية حول مصادر التوراة" فينبغي مراعاة التسلسل الزمني بوجـه عـام. وهـذا يعنـي استحضار بعض جوانب النقد الهامة، حتى تكتمل وجهة النظر في المسألة.

إن فهم نظريات المصادر المتعددة التـي قدمها الغربيون تستوجب منـا النظـر في أمرين:

يعنى الأول بتحديد موقف علماء الكتاب المقدس أنفسهم من نظريات المصـادر المتعددة، أي بيان رفضهم أم قبولهم لها.

ويخـتص الثـاني برصـد مراحـل التطـورات المصـدرية، وإلـى أي حـد يمكـن اعتبارها أهم مظهر من مظاهر الدراسات النقدية الحديثة للتوراة حتى الآن.

لقد ظهر انقسام واضح بين علماء الكتاب المقدس تجاه نظرية المصـادر تمثـل في اتجاهين متناقضين تماماً وهما هل يمكن قبول نظرية المصادر أم لا؟

علماء الكتاب المقدس الرافضين لنظرية المصدر

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لا يمكن قبـول نظريـة المصـادر لأسباب عديدة نذكر منها:

أن أصحاب نظرية المصادر يتجاهلون النصوص الواضـحة والصـريحة التـي وردت في الأسفار المقدسـة والتـي تنسب السفر إلـى كاتبـه ويـدعون أننـا عرفنـا كتبـة الأسفار من التقاليد المتوارثـة وراحـوا يشككون فـي هذا التقليد ويخلطـون بـين التقليـد وبين النصوص الكتابية وبين الأسانيد التاريخية وفات عليهم أن التقليد هو مـا تسلمته الكنيسـة شـفاهة مـن الآبـاء الرسـل أو الآبـاء الرسـوليين أي الجيـل الثـاني بعـد الآبـاء الرسل، وهل يعقل أن نهمل نصوصًا كتابية واضحة تنسب الأسفار إلى كتابها ونأخذ

بآراء أصحاب مدرسة النقد الأعلى؟[١] وقد سميت الأسفار بأسماء الأنبياء ... لا لأنهم كتبوها، بل لأنها تدور حولهم...ولم يكن عزرا هو من أعطى هذه الأسفار صيغتها النهائية، بل اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب أخرى، ونسخها ونقلها دون ترتيب أو تحقيق ، مما يفسر وجود نفس الروايات بألفاظ مختلفة فى عدد من الأسفار، كما تثبت ألفاظ الرواية أنها كانت مكتوبة بعد أن حدثت الوقائع بزمن طويل، وأن العبرانيين الأوائل كانوا يجهلون لغتهم، وكان كل راوٍ مفسر حسب هواه، وهناك أخطاء كثيرة يدعى المفسرون المتحذلقون أنها أسرار إلهية، فيؤولون النقاط والحروف والعلاقات حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ، وهذا كله ادعاء كاذب يناقض العقل فلا توجد أسرار كما تدعى.

اعتمد أصحاب نظرية المصادر على الافتراضات والاجتماعات والتخمينات حتى صار أسلوب الدراسة في هذا المجال هو أسلوب التخمين في نظرهم تحول بحث العهد القديم إلى مجال علمي مقبول عندما نجح الخلط فيه بين الدراسة التاريخية للنص وبين الدراسة الأدبية له. وأصبح هذا النموذج الذي يدرس التوفيق بين مصادر النصوص المختلفة(تخمين المصادر) الأسلوب السائد في حقل البحث منذ ذلك الحين وحتى الآن. واقتنع وليام روبرتسون سميت تخمين المصادر وكتب عدة مقالات في عشرين عامًا ودعي بالأسقف الشرير. فقد كان كل واحد من النقاد يسجل أفكاره الخاطئة وتصوراته دون محاولة إثباتها بالأدلة الواقعية وبدون دراسة موضوعية حادة ولهذا نلاحظ التخبط الشديد والاختلاف البين بين هؤلاء الأشخاص.[٢]

علماء الكتاب المقدس المؤيدين لنظرية المصادر التوراتية.

يرى أصحاب هذا الاتجاه قبول نظرية المصادر لما يلي:

يقدم الكتاب المقدس ثلاثة أسباب رئيسة للاعتقاد بأنه وصل إلينا بشكل معدل، فهذا ما تقوله بعض المواضع فيه وأحيانًا يخبر الكاتب أنه استعمل كتابات أخرى بدون تحديد الطريقة، توجد أيضًا بعض المواد المشتركة بين أكثر من كتاب، وتميزت حضارة عصر العهد القديم بأنها قبلية، فهناك قصص وأغاني وأفكار قبلية فمن الطبيعي أن يستخدم المؤلفون موادًا تقليدية وصلت إليهم وأن يعدلوها لتتناسب مع احتياجات عصرهم.

(١) النقد الكتابي، حلمي يعقوب، مقال -النسخة الإليكترونية على الانترنت، بتصرف بسيط.
(٢) النقد الكتابي، بتصرف بسيط.

طور الباحثون عدة معايير لتمييز وجود تلك المصادر إذا ما استعملها كاتب وهذا ما يسمى النقد المصدري.(١)

تقوم مدرسة النقد المصدري على القول بأن التوراة تتضمن أربعة مصادر أساسية، هي على الترتيب: المصدر اليهوي، ويعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والمصدر الإلوهيمي، ويعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، والمصدر التثنوي، ويعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأخيرًا المصدر الكهنوتي ويعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. (٢)

تمتد نظرية المصادر التوراتية المتعددة إلى عدة قرون من الزمن تقريبًا ويمكن القول إن البحث المصدري في التوراة قد مر بمراحل أساسية وهي:

مراحل النظرية المصدرية.

تقبل الباحثون الرواية حول كتابة موسى للتوراة لكنهم يرون أن بعض الفقرات قد أضيف إلى النص على يد آخرين، ففي القرن الحادي عشر ذكر "إسحاق بن بشوش" –الطبيب الخاص لحاكم الأندلس المسلم- أن قائمة ملوك آدوم في سفر التكوين تشير أيضًا إلى ملوك عاشوا بعد وفاة موسى بسنوات طويلة. ويعتقد ابن بشوش أن هذه القائمة قد كتبها شخص عاش بعد موسى. وردًا على ذلك لقبوا ابن بشوش (بإسحاق الأخرق). وكان من لقبه بذلك هو أبراهام ابنِ عزرا(وهو من كبار أحبار الأندلس في القرن الثاني عشر) وأضاف ابن عزرا قائلًا: "إن الكتاب يستحق الحرق". لكن المثير للسخرية أنه تم العثور في كتابات ابن عزرا نفسه على ملاحظات حول بعض الشكوك التي كانت لديه هو نفسه. فتطرق في ثناياها إلى بعض الأجزاء التي بدا له أن موسى لم يكتبها، ومن بينها أجزاء تكتب عن سيدنا موسى عليه السلام بضمير الغائب.(٣)

يقوم سبينوزا بتحليل أسفار التوراة سفراً سفراً، مبيناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية، ويؤكد أن الأسفار الخمسة لم يكتبها النبي موسي، حتي أن ابن عزرا، وهو العالم بذلك، لم يجرؤ علي الجهر بذلك، كتب الأسفار الخمسة، إنسان آخر، عاش بعد النبي موسي بمدة طويلة، وذلك لبعض الأسباب التي يذكرها ابن عزرا، مثل:

---

(١) .www.arm.wikipedia.org.

(٢) نقد العهد القديم، دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، د/ شريف حامد سالم، ص١٦١.

(٣) من كتب التوراة، ريتشارد إليوت فريدمان، ترجمة: عمرو زكريا، ص١٨، ط٢٠٠٣ دار البيان للنشر والتوزيع.

أ. لم يكتب النبي موسي مقدمة سفر التثنية؛ لأنه لم يعبر نهر الأردن.

ب. كان سفر موسي مكتوباً علي حائط المعبد الذي لم يتجاوز اثني عشر حجراً، أي أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن.

ج.قيل في سفر التثنية: وقد كتب موسي التوراة" ولا يمكن أن يقول موسي ذلك، إن كان هو كاتبها.

د. في سفر التكوين، يعلق الكاتب قائلاً: ":وكان الكنعانيون في هذه الأرض"، مما يدل علي أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر، أي بعد موت موسي وطرد الكنعانيين، وبذلك لا يكون موسي هو الراوي.

ه. في سفر التكوين، سمي "جبل موريا" جبل الله، ولم يسمع بهذا الإسم إلا بعد بناء المعبد، وهو ما تم بعد عصر موسي.

و. في سفر التثنية وضعت بعض الآيات في قصة أوج، توحي بأن الرواية كتبت بعد موت موسي بمدة طويلة، إذ يروي المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد.

ثم يضيف سبينوزا علي ملحوظات ابن عزرا هذه ملحوظات أخري: [١]

أ. كتابة الأسفار بضمير الغائب، وليس بضمير المتكلم.

ب. مقارنة موت موسي ولحده والحزن عليه بين الأنبياء التاليين له.

ج.تسمية بعض الأماكن بأسماء مختلفة عما كانت عليها في عصر موسي.

د. إستمرار الرواية في الزمان حتي بعد موت موسي وقد كان موسي يقرأ "سفر العهد" علي الناس الذي أملاه الله عليه في جلسة قصيرة، مما يدل علي أن ما كتبه موسي أقل بكثير مما لدينا الآن، ثم شرح هذا السفر الأول، ودون شرحه في سفر "شريعة الله".

ثم أضاف عليه يشوع شرحاً آخر، وقد ضاع هذا السفر الذي يجمع بين سفر موسي وسفر يشوع، أما السفر الأصلي فقد أدخل في الأسفار الخمسة التي لدينا الآن ولا يمكن التمييز بينهما.

المرحلة الثانية: نظرية الوثائق القديمة : (فصل الوثائق القديمة)

أما المرحلة التالية من البحث فقد كانت عملية الفصل في الوثائق القديمة بين

(١)كيف زيف اليهود الكتب المقدسة، موسى الزغبي،ص ١٦، ط دار المنار، ب.ت.

الخطوط العريضة للمصدرين المختلفين، وفي القرن الثامن عشر توصل ثلاثة باحثين إلي استنتاج مماثل يقوم علي هذا الأسلوب وهم، قس ألماني "هـ ب فيتر " وطبيب فرنسي "جان أستروك" وبروفيسور ثاني "ف . ج أيخهورن" .

في البداية ظهرت فكرة أن إحدي روايتي قصص سفر التكوين هي صيغة قديمة استخدمها موسي مصدراً له والرواية الثانية هي لموسي نفسه والتي يصف فيها الأحداث علي لسانه، وفي مرحلة متأخرة ساد رأي يقول بأن الروايتين كانتا نصين قديمين قد وضعهما موسي ثم توصل الباحثون إلي استنتاج أن المصدرين دونهما كتاب عاشوا بعد عصر موسي.

إن كل ما تقدم في عملية البحث في أسفار العهد القديم لا يترك لموسي لنفسه شيئاً دونه إلا جزءاً صغيراً، في بداية القرن التاسع عشر كثرت الآراء حول نظرية المصادر المختلفة، ولقد وجد الدارسون دلائل تشير إلي أنه بدلاً من وجود مصدرين لأسفار التوراة الخمسة فإنه توجد أربعة مصادر، واكتشف دارسان أنه في الأسفار الأربعة الأولي من العهد القديم لا يوجد تكرار ازدواجي فقط بل أيضاً تكرار ثلاثي.

واعتمدت هذه الاكتشافات علي حقائق مرتبطة بالتناقضات الموجودة في النص وعلي عناصر لغوية أخري، وأدي ذلك إلي توصل الباحثين إلي استنتاج أن هناك مصدراً آخر لقصص التوراة.(١)

تحديد زمن المصادر :

إن النتيجة التي توصل إليها إلجن وهوبفلد بشأن تقسيم المصدر "الإلوهيمي" إلي مصدرين، وكذلك النتيجة الأخرى التي توصل إليها فاتكي وجورج ورويس بشأن وحدة واستقلال سفر القوانين الذي يبحث أمور الكهنة ونظام العبادة، ضمهما سوياً جراف أحد أهم الباحثين في علم العهد القديم.

قرر جراف أن "المصدر الإلوهيمي" الذي عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسي" بلا شك مركب من مصدرين متميزين، غير أن أحدهما شمل في وسطه روايات موازية لروايات "اليهوي" وهو نفسه "الإلوهيمي الأحدث" عند هوبفلد.(٢)

يعتبر بحث جراف مهما وقد نال قبولاً داخل علم العهد القديم كقاعدة ثابتة، وتوصل جراف بعد بحث طويل وموازنة دقيقة إلي رأي عام هو:

أن قوانين يهوه التي ذكرت في سفر الخروج هي القوانين الوحيدة المعروفة

---

(١)من كتب التوراة،ص٢١،٢٢.

(٢)نقد التوراة في الفكر اليهودي ، د.هويدي ،ص ١٤٩،١٥٠.

لصاحب سفر التثنية، أما بقية القوانين الموجودة في "المصدر الإلوهيمي" الكبير لم يعرفها ولم يلاحظها.

وينجم عن هذا أن القوانين في المصدر "الإلوهيمي" متأخرة وتنسب إلي العصر البابلي أو عصر العودة، ومرة ثانية نعلم من ذلك أنه من الضروري التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر "الإلوهيمي" وربما القسم الأول سابق علي سفر التثنية والقسم الثاني متأخر عنه.(١)

هذا التقسيم الذي وضعه جراف بين القسم الروائي والقسم التشريعي في مصدر واحد آثار ضده معارضات شديدة بين زملائه الباحثين، وقد تمكن "ريهم" المحافظ من الرد علي هذه الاعتراضات .

فأثبت "ريهم" بأدلة واضحة أن نفس الروايات التاريخية التي عزل منها جراف قوانين الكهانة، تسيطر عليها روح هذه القوانين وليس هناك أي احتمال للفصل بينهما.

فالقوانين تكون سوياً مع الروايات وحدة واحدة، ولذلك لا يمكن قبول نظرية جراف الذي يؤخر زمن إعطاء تلك القوانين حتي عصر العودة.(٢)

شهد القرن الثامن عشر ظهور رائدين فى دراسة العهد القديم هما القس الألمانى " هينج برنهارد فيتر " والطبيب اليهودى الفرنسى جاك استروك. فقد وجد الألمانى فيتر من خلال مقارنته سفر التكوين (١:١-٢ : ٤:٢-٣ : ٢٤) وجود أسمين للدلالة على الألوهية وأوضح بناء على ذلك أن موسى استخدم مصدرين فى كتابة التوراة. أما الطبيب الفرنسى فقد توصل إلى نفس النتيجة التى توصل إليها فيتر، غير أنه أضاف بأن سفر التكوين(٣)يتكون من مصدرين أساسيين أحدهما يستخدم الاسم (ألوهيم) للدلالة على الألوهية، وأشار إليه بالرمز (A) ويستخدم الآخر الاسم " يهوه" للدلالة على الإلوهية أيضا، ورمز إليه بالرمز (B) ثم أضاف إلى ذلك عشرة مصادر جانبية، ورمز إلى هذه المصادر الجانبية بالرمز (C) وأشار إلى أن المصادر الجانبية لا ترتبط غالبا بأحداث العبريين، بل بأحداث الشعوب المجاورة مشيرًا إلى أن موسى أخذ هذه المصادر الجانبية من الشعوب التى تجول بينها (٤).

تعود شهرة أستروك إلى الألمانى " يوهان جوتفريد أيشهورن "

(١)المرجع السابق،ص ١٥٠،١٥١.
(٢)نفسه ،ص ١٥٠.
(٣) نفسه، ص٢٧١.
(٤)نفسه ،ص ٢٧٢/٢٧١.

J.G.Eichhorn الذى اعتمد على عمل أستروك فى عزل الروايات التى تنسب إلى الإلوهيمى وتلك التى تنسب إلى اليهوى، غير أن أيشهورن عمق دراسته وأضاف إلى ذلك الاختلافات اللغوية والصور الأدبية المتنوعة المستخدمة فى المصدرين. وأما عمل فيتر فقد اكتشف لأول مرة خلال القرن العشرين (١٩٢٤م)، ويعود ذلك إلى أن فيتر قصد من عمله توضيح أن موسى ليس هو كاتب التوراة وهى عكس رؤية استروك الذى قصد التأكيد على أن موسى هو كاتب التوراة.(١)

بدراسة أيشهورن تطورت دراسة التوراة، وأدت نظرية مصادر التوراة إلى عكس الرؤية التى قصدها استروك وبدأت نظرية المصادر وتعددها تشير إشارات واضحة إلى أن موسى ليس هو مدون التوراة ...وهكذا تعترف نظرية الوثائق القديمة بتعدد الوثائق فى نص التوراة، وأن التوراة ليست وثيقة واحدة بل عمل مكون من عدد من الوثائق (المصادر).(٢)

المرحلة الثالثة: المصادر الثانوية:

استطاع جان استروك Jean Astruc طبيب الملك لودفيج الرابع عشر Ludwig XIV استطاع أن يميز مصدراً ثالثاً لسفر التكوين أسماه المصدر (ج)، وهو الذى تعزى إليه بقية آيات السفر التى لا يمكن نسبتها إلى المصدر اليهوى أو الإلوهيمى.(٣)

وقد حاول كارل دافيد إيلجن قبل نهاية القرن الثامن عشر أن يحدد هوية هذا المصدر الثالث فأرجعه إلى مؤلف إلوهيمى آخر.(٤)

وما أن هلَّ القرن التاسع عشر حتى بدأ دى فيته(٥) DeWette، وهاينرش إيفالد HeinrichEwald الحديث عن مصادر إضافية ثانوية إلى جانب المصادر الثلاثة الرئيسية المذكورة، تتمثل فى (تكملة وزيادات على مصدر معين أو أجزاء من مصادر تحتفظ بهويتها وشخصيتها).وأرجع هيرمان هوبفلد Hermann Hupfeld عام ١٨٥٣م هذه المصادر إلى عملية تحرير كبرى شملت التوراة

---

(١)نقد التوارة في الفكر اليهودى ص ٢٧٢.
(٢)المرجع السابق، ص ٢٧٣/٢٧٢.
(٣)المعتقدات الدينية لدى الغرب ص ١٢٩.
(٤)المرجع السابق ص ١٢٩.
(٥)دي – فيته (Wilhelm Martin Leberecht de wette) (١٧٨٠-١٨٤٩) كان لاهوتيًا ألمانياً ومعلماً
كتابياً للكتاب المقدس . ولد في أولا بالقرب من قايمار وصف دي – فته من قبل فلهاوزن بأنه فاتح النقد
التاريخ للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم).

بأكملها. وحدد تيودور نولديكه Theodor Noldeke فى كتابه " دراسات نقدية للعهد القديم " عام ١٨٦٩م مصدراً رابعاً هو المصدر الكهنوتى كأقدم مصادر العهد القديم.(١)

نظرية الأجزاء

توصل الباحثون، بعد البحث، إلى استنتاج أن الجزء الأكبر من أسفار التوراة الخمسة لم يكتبه موسى. وكان أول من قال ذلك الفيلسوف البريطاني "توماس هوبز" في القرن السابع عشر.

جمع هوبز عددًا كبيرًا من الحقائق والمقولات من متن أسفار التوراة التي كانت تعارض نسبتها إلى موسى... وبعد أربع سنوات حدد الكلفي الفرنسي"إيزاك دي لوبير" أن موسى ليس هو مؤلف أسفار العهد القديم الأولى، كما ذكر المشكلات التي تظهر أثناء قراءة النص. (٢)

- كشف المصادر :

أول من اكتشف ذلك من الثلاثة كان الكاهن الألماني "هنج برنارد فيتر" عام ١٧١١" ولم يكن لكتابه حول هذه المسألة أي أصر غرضه حتي غاب في طي النسيان ثم عاد اكتشافه من جديد بعد ٢٠٠ عام في سنة ١٩٢٤م.

ويرجع الفضل في اكتشاف أول هذه المصادر إلى القس الألماني تلننج برنارد فتر TALENNIG Berhard Witter الذى كشف فى إحدى كتاباته عام ١٧١١م عن وجود أسمين لله في سفر التكوين (يهوه، إلوهيم) ينتمى كل منهما إلى مصدر مختلف ، ويشكلان معاً نسيج سفر التكوين.(٣)

والثاني الذي لاحظ الظاهرة كان "جان أستروك" وكان طبيباً فرنسياً في بلاط لويس الخامس عشر، ونشر هذه الاكتشافات دون ذكر اسمه في باريس عام ١٧٥٣ عندما بلغ من العمر ٧٠ عاماً، وقد ترك كتابه هذا أيضاً انطباعا ضعيفاً لدي القراء.

لكن عندما توصل الشخص الثالث والذي درس الاستنتاجات المطلوبة ونشرها في عام ١٧٨٠م وكان من الصعب تجاهلها وهو "يوهان جوتفرد أيشهورن" وهو دارس مشهور ووالده قس ألماني، وقد أطلق علي القصص التي تذكر لفظ الألوهية كلمة إيل "بالألوهية" والقصص التي تستخدم اللفظ يهوا "باليهودية".(٤)

إن اكتشاف كون التوراة في الحقيقة أربعة مؤلفات مختلفة كانت منفصلة عن

---

(١)المعتقدات الدينية لدى الغرب ص ١٢٩.
(٢)من كتب التوراة،ص ١٩.
(٣)المعتقدات الدينية لدى الغرب ص ١٢٩.
(٤)من كتب التوراة،ص٤٦.

بعضها في الماضي، لم تكن في حد ذاتها عملية مغلفة، حتي أن العهد الجديد يبدأ بقصص الرسل الأربعة- حسب ما يعتقدون-، متي مرقس لوقا، يوحنا، وكل منهم وصف الأحداث بطريقته، إذا فلماذا كان هذا العداء المستحكم علي مر الأجيال بين اليهود والمسيحيين حول الفكرة القائلة أن بداية العهد القديم كانت أيضاً لأربعة رسل؟!

الفرق هو أن مصادر العهد القديم الأربعة تم دمجها دون أي فاصل وعرفت ككتاب واحد لموسي لفترة طويلة من الزمن حوالي ٢٠٠٠ عاماً، وكان الاكتشاف.(١)

إذا كان هدف أصحاب نظرية الوثائق القديمة إظهار التكرار والتناقضات بين الوثائق كما وضح عند أستروك وآيشهون، فإن الإنجليزي " الكسندر جديس " A.Geddas أسس ما يعرف باسم نظرية الأجزاء التى انتقلت وتطورت فى ألمانيا على يد " يوهان سفرين فاتر " J.S.Vater توصل جديس وفاتر إلى أن التوراة " عمل مؤلف من مجموع أجزاء وفصول غير مترابطة، وغير متناسقة، سواء أكانت طويلة أم قصيرة.(٢)

ثم تلقى اثنان من فلاسفة اليهود أطروحة هوبس وراحوا يمعنون النظر باحثين عن قرائن ودلائل يمكن الاستناد إليها، فكتب " داكوستا " Da Costa الذى مات منتحراً، وأرشد سبينوزا قبل أن يموت إلى دراسة ابن عزرا وفحصه للتوراة: " لقد ارتابنى الشك مؤخراً فى أن الأسفار الخمسة كتاب الله حقيقة، لأنه توجد كثير من القرائن التى تقوى هذا الشك وكثيرا جداً من الدلائل التى تجبر على اعتناق نقيض هذه الفكرة. وفى النهاية تيقنت أن تلك التوراة ليست إلهية المصدر، بل هى مجرد ابتكار بشرى كغيره من آلاف الابتكارات البشرية التى بين أيدينا، وذلك لأن الله خالق القوانين الطبيعية يستحيل أن يوحى إلى البشر بكتاب يناقض تلك القوانين .(٣)

وفي نفس الفترة تقريبًا، في هولندا، نشر الفيلسوف الشهير "باروخ سبينوزا" تحليلًا نقديًا ذكر فيه أن الأجزاء التي تمثل إشكاليات في العهد القديم ليست حالات فردية يمكن تبريرها على نحو منفرد، فهي موجودة في كل أسفار التوراة. ذكر سبينوزا "إن الأمر واضح وضوح الشمس وقت الظهيرة وهو أن أسفار التوراة الخمسة لم يكتبها موسى بل كتبها شخص ما عاش بعده بسنوات طويلة. (٤)

---

(١)المرجع السابق،ص٤٧.
(٢)نقد التوارة في الفكر اليهودى ص٢٧٣.
(٣)المعتقدات الدينية لدى الغرب د /عبد الراضى محمد عبد المحسن ص ١٢٦.
(٤)من كتب التوراة ، ص٢٠.

سبينوزا: (١٦٣٧- ١٦٧٧م) أعظم من تصدى لقومه بالنقد فى أشهر كتبه " البحث اللاهوتى السياسى " (سنة ١٦٧٠) مبيناً تهافت أسطورة الشعب المختار. وحمل سبينوزا على التوراة محللاً أسفارها، ومبينا نصيب كل منها من الصحة التاريخية، ومؤكداً أن الذى كتبها إنسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة فلو كان موسى الذى كتبها لما تحدث عن نفسه بضمير الغائب ، وموسى لم يكتب سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن، وبعض الأماكن سميت بأسماء مختلفة عما كانت عليه فى عصر موسى، والرواية مستمرة فى الزمان حتى بعد موت موسى، وكان موسى مكتوباً على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثنى عشر حجراً أى أن السفر كان أصغر بكثير مما الآن ثم شرح هذا السفر الأول، ودون شرحه فى سفر شريعة الله، ثم أضاف عليه يشوع شرحاً آخر، وقد ضاع هذا السفر الذى يجمع بين سفر موسى وسفر يشوع أما السفر الأصلى فقد أدخل فى الأسفار التى لدينا الآن، ولا يمكن التمييز بينهما. وينتهى إلى أن التوراة نشأت عبر فترات تاريخية طويلة انتهت إلى زمن عزرا الذى يغلب على ظن سبينوزا أن نسبة كتابة التوراة تعود إليه [١]

ريتشارد سيمون وتحول البحث في التوراة كتراث تحكمه مناهج البحث.

بعد فترة وجيزة من ذلك كتب "د ريتشارد سيمون" في فرنسا(وهو بروتستانتي تحول إلى قس كاثوليكي) كتابًا أراد فيه أن ينتقد سبينوزا، وادعى أنه يمكن إرجاع أصل كتب الشريعة إلى موسى ولكن هناك بعض الإضافات وضعها الكتاب الذين جمعوا ورتبوا المخطوطات القديمة. [٢]

كانت أراء سيمون حول جمع مؤلفي العهد القديم لقصصهم من المصادر القديمة التي كانت في حوزتهم، خطوة مهمة في طريق الكشف عن هوية كاتب العهد القديم.[٣]

وهذا يعني في المقام الأول ضياع النص الأصلي وأنه وجدت فقط بقايا وثائق قديمة أقرب إلى النص الأصلي، ثم عندما بدأ تدوين الأدب العبري في عصر مملكة سيدنا داود وسليمان –عليهما السلام- بدأ تدوين هذه الوثائق وتنقيحها كل طبقًا لرؤيته التاريخية والدينية، فظهرت لنا التوراة في صورتها الحالية مركبة من عدد من المصادر التي تعود إلى بيئات مختلفة وعصور عديدة منذ بداية التدوين وحتى الإقرار النهائي للتوراة.[٤]

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الغرب ص ١٢٧/١٢٦.
(٢) السابق، ص٢٠.
(٣)من كتب التوراة ريتشارد إليوت فريد مان :ص ٢١.
(٤) تاريخ الآباء وديانتهم، ص١٨٣.

وبظهور كتاب الكاثوليكى الفرنسى ريتشارد سيمون Richard Simon التاريخ النقدى للعهد القديم Histrire Critique Du Viewx Testament عام ١٦٧٨م ، انتقل البحث فى التوراة إلى مرحلة جديدة تتجاوز الخلاف حول نسبتها إلى موسى إلى دراستها كتراث تحكمه وتفصل فيه مناهج الروايات والمأثورات بما تقتضيه من البحث وراء قضية التقاليد والروايات الشفهية الكامنة خلف التوراة التى هى محصلة نهائية لسلسة طويلة من تطور تلك التقاليد والروايات.

وبسبب جدة هذا الرأى وخطورته طُرد سيمون من منصبه ، وتعقبت نسخ كتابه بالحرق والإتلاف وكاد يلحقه الفناء التام لولا أن وقعت إحدى نسخه مصادفة فى يد الألمانى يوهان سيملر Johann Salomo Semlers الذى ترجمه إلى الألمانية عام ١٧٧٦م.

لكن أعيد إلى ريتشارد سيمون اعتباره على يد المصلحين الألمان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعده فريدرش شتومر Friedrich Stummer فى كتابه (قيمة ريتشارد سيمون لنقد التوراة : عام ١٩١٢م: مؤسس علم النقد التاريخى.[١]

لقد ولد هذا العلم علمياً في القرن الماضي بأوروبا علي يد مجموعة من المتخصصين المجددين، ووصل إلي درجة حاسمة من تطوره عندما طرح عالم اللاهوت الألماني يوليوس فلهاوزن، موضوعه عن مكونات العهد القديم في مؤلفه "مقدمة في تاريخ بني إسرائيل" والذي أثار في حينه عاصفة من الاحتجاجات من قبل الكنيسة ومعظم أهل الاختصاص الذين وسموه بشتي الصفات ووجهوا إليه مختلف التهم.[٢]

ورغم أن فلهاوزن لم يكن مؤسس "علم نقد العهد القديم" فإن الفضل يعود إليه في اقتراح منهجية للتعامل مع مختلف النصوص، بما يشرح كما رأي جذور التباين في الأسلوب والتركيب والمفردات ويساهم في فهم العهد القديم كوحدة متناسقة.

وبموجب ذلك التقسيم والذي أضحي منذ ذلك الحين أساس علم نقد العهد القديم، اقترح فلهاوزن تقسيم الخماسية، أي الأسفار الخمسة الأولي من التوراة، وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، إلي تقاليد مختلفة بما يسهل، وفق رأيه، من وضع نظام يسهل تتبع تاريخ بني إسرائيل حسب رواية التوراة. والذي يغطي مرحلة يري أتباع المدرسة التقليدية أنها تمتد إلي ما يزيد عن ألف عام انتهت سنة

(١)المعتقدات الدينية لدى الغرب ص ١٢٨/١٢٧
(٢)الحرب المقدسة في التوراة ،د. زياد منى ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، الكويت ص ١٠

٥٨٦ ق.م . بالسبي البابلي علي يد قوات نبوخذ نصر ، والمعروف في التراث العربي الإسلامي، باسم (بختنصر) وقد رأي فلهاوزن ضرورة تقسيم الخماسية إلي تقاليد خمسة رئيسة هي:[١]

وهنا وجب التذكر من جديد بأن هذا التقسيم يسري وفق رأي المدرسة السائدة علي الخماسية فقط ، ورغم وجود تباينات غير جوهرية لدي أتباع هذه المدرسة المنهجية حول حدود التقسيم... ويستند هذا الاتجاه العلمي إلي البحث في النص والمصدر واللغة والنحو والضرب الأدبي لكتاب اليهودية والمسيحية المقدس.[٢]

المرحلة الرابعة: جديس وفيتر :نظرية الأجزاء.

كان ألكسندر جديس الاسكتلندي باحثاً ومفكراً شجاعاً، كما كان كاهناً كاثوليكيا ووجد في نفسه الشجاعة علي إعلان أن موسي لم يكتب التوراة وأن العهد القديم المتوافر حالياً ليس سوي مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض. وأنه نتاج أجيال وأنواع مختلفة أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض، جمعت ونظمت سوياً من قبل محرر متأخر، فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية مقاطعة ذلك الكاهن "الكافر" وفصله من وظيفته، كما قاطعت الكنيسة البروتستانتية كتابه.[٣]

غير أن نظريته – نظرية الأجزاء اكتسبت تشجيعاً من كل صوب، وقام أصحاب تلك المدرسة وقسموا المصادر إلي درجة كبيرة جداً، وبالفعل رأينا من قبل أن أستروك قد وجد في سفر التكوين أثني عشر قسماً، وجاء إلجن وأوصلها إلي سبعة عشر، ثم جاء فيتر تلميذ جديس وأوصلها إلي تسعة وثلاثين قسماً وعلاوة علي ذلك. لم يكتف فيتر بسفر التكوين فحسب، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة، ومن يستطيع أن يحصي عدد الأجزاء التي يجدها فيها؟ يستنتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء" أن التوراة التي أمامنا ليست سوي مجموعة أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جداً"، بدون أن يكون هذا المجموع منسجماً، أو يكون مرتباً تاريخياً. وطبقاً لرأي جديس وفيتر وهرتمان فإن الجامع المتأخر الذي عاش زمن السبي البابلي قد خاف أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أي جزء قديم من بقايا النتاج القديم، لذلك جمعها كلها كما هي وأدخلها بصورتها داخل مؤلفة.

هل كان من الممكن لمثل هذه النظرية التي فتت التوراة تفتيتاً، أن تصمد

---

(١)المرجع السابق، ص١١
(٢)الحرب المقدسة في التوراة ، ص ١٢ ،١٣
(٣)نقد التوراة في الفكر اليهودي ، د.هويدي ،ص ١٣٩

وتثمر عن نتائج؟ فقد كان من الواضح أن هناك تعثراً في أسلوب النقد لا يؤدي إلي ضمان صحة النتائج، وأن تقسيم الأجزاء علي أساس الحجم فقط وبدون قاعدة تاريخية ثابتة، ونسبته لأي مصدر من المصادر لا يمكن أن يقود إلي "النجاح العلمي" .[١]

تدهور نظرية تعدد الوحدات :

وعندما نجح دي – فته في استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار علي نظرية تعدد الأجزاء في بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التي أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات.[٢]

جهود إلجن وتأكيده نظرية الوثائق القديمة (نظرية المصدرين)

يعد ك. د. إلجن الأول من بين الباحثين الكبار والأساسيين الذين ظهروا في أعقاب أستروك، توصل إلجن إلي رأي عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أي "الوثيقة الإيلوهيمية" و "الوثيقة اليهوية".يتمثل هذا الرأي في أن أسماء الألوهية ليست هي التي تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط، بل تختلف أيضاً خصائصهما الأدبية وعالمهما الديني هذا عن ذاك.[٣]

لذلك أصبح من الضروري ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة، ويصبح من المستحيل الشك فيها، ثم قام إلجن بفحص كل واحد من المصدرين علي حدة، ووجد أن "الوثيقة اليهوية" مجموعة أدبية واحدة وكاملة طبقاً لاتجاهها وصورتها، غير أن "الوثيقة الإيلوهيمية" (التي اعتبرها أستروك وزملاؤه سفراً واحداً بسبب عدم الازدواجية فيها، ولأنها تلقب "الألوهية باسم إلوهيم"، ليست وثيقة واحدة بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين، ليس بينهما تطابق إلا في اسم الألوهية فقط، ويوجد بينهما اختلاف ديني وأدبي يميز بينهما، وصف إلجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التي وجدها، وأطلق علي الأول منها اسم "الوثيقة اليهوية"، وهذا يعني السفر الذي يلقب الألوهية باللقب "يهوه"، والمصدران الآخران" الإلوهيمي الأول" و "الإلوهيمي الثاني" حيث يستخدمان الاسم "إلوهيم للدلالة علي الألوهية".

هكذا اكتشف إلجن وجود هوة أدبية شاسعة بين هذه القطعة في المصدر

---

(١)نقد العهد القديم،زالمان شازار، ص ١١١,١١٢
(٢)تاريخ نقد العهد القديم ،ص ١١٧
(٣)نقد التوراة في الفكر اليهودي ،ص ١٣٦

الإلوهيمي وبين تلك القطعة الموازية لها في المصدر اليهوي[١] .

المرحلة الخامسة:دي – فته ونظرية المكمل :

بدأ دي – فته أبحاثه من جديد ولم يؤسسها علي أساس سفر التكوين الذي عمل عليه النقاد منذ أستروك، وأدي ذلك إلي نظرية تعدد الأجزاء في بحث العهد الجديد. وبدلاً من البحث عن الاختلافات والتناقضات بين أحداث التوراة فقد سعي دي – فته لإيجاد مصدر ما كامل وثابت في العهد القديم، لا يترك مجالاً للشك في وحدته الداخلية، فظهر له سفر التثنية كوحدة واحدة كبيرة متميزة، تتشابه أقسامه وتناسب كل قسم مع الآخر.[٢]

كما أن الطابع الأدبي للسفر يختلف عن بقية أسفار التوراة الخمسة، ويميزه ليكون بمثابة عالم قائم بذاته، فلغة السفر متميزة، وأساليب التعبير فيه مختلفة عن تلك المقابلة لها في الأسفار الأربعة الأولي، كما أن المناخ الفكري في أقواله مختلف بصورة مطلقة.[٣]

وفي هذه الإصحاحات الأخيرة نجد مرة ثانية ازدواجيات كثيرة وأصداء تناقضات، فالرواية الخاصة بموت موسي تكررت مرة ثانية وثالثة في تلك الإصحاحات، هذا يجعلنا نلاحظ مرة ثانية فكر وطابع المصادر الثلاثة الأولي التي وجدت في أسفار العهد القديم، يفهم من ذلك بصورة مباشرة، بأنه لم يستطع أي مصدر من المصادر تجاهل حدث كبير مثل حدث موت موسي.[٤]

هكذا نجح دي – فته في أن يجد داخل تعدد الأجزاء في التوراة مصدراً واحداً كاملاً متميزاً في حجمه، ومهماً في مضمونه مستخدماً بيئة قائمة بذاتها، وعلي أثر ذلك تحرر دي – فته من تعقيدات الأجزاء فاتحاً بذلك طريقاً جديداً في تطور مستقبل علم العهد القديم.

عندما نجح دي – فته في استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة، وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار علي نظرية تعدد الأجزاء في بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التي أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات.[٥]

إن المعالجة التي عالج بها دي – فته سفر التثنية علي أنه كله ذو أسلوب

---

(١)نقدالتوراة: ص ١٠٩
(٢)نفسه ،ص ١٤١
(٣)نفسه،ص ١٤١،١٤٠
(٤)نفسه،ص ١٤٤،١٤٢
(٥)نفسه،ص ١٤٤

واحد وتسود في أقواله لغة الأنبياء الثرية والمتعددة، لذلك استقر بإحساسه النقدي في ثنايا الكتابات المقدسة ولم يهتم فقط بالتناقضات والتكرارات وفقدان المطابقة فحسب؛ بل ليجد في العديد منها الوحدة الأدبية الفنية الموجودة بالفعل، مع التسليم والقبول بالنقص الموجود أحياناً، وقد ثار بصفته ناقداً ثقة وخبيراعلي علم أساتذته وابتعد عن نظرية الأجزاء العقلانية في مجموعها والمتطرفة، والباحثة عن أدق التفاصيل. وانضم لدعمه سريعاً مجموعة من الباحثين الشبان، ومرة ثانية دار الحديث عن أقوال مؤلفات كبيرة في حجمها أي المصدر الإلوهيمي القديم واليهوي المتأخر.(١)

علاوة علي ذلك فقد فاق دي – فته وتلاميذه بالوحدة الأدبية الكاملة أصحاب نظرية المصادر الأوائل (أستروك إلجن، وغيرهما) السابقين علي أصحاب نظرية الأجزاء؛ فالأوائل لاحظوا أن التوراة كما هي مؤلفة من مصدرين – وقالوا بعد ذلك من ثلاثة مصادر – خاصين ومنعزلين الواحد عن الآخر، ليس بينهما أي صلة، ودمجاً سوياً بصورة متكلفة، أما أصحاب مجموعة دي – فته فقرروا: أن التأليف "اليهوي" ليس تأليفاً مستقلاً، بل إن "اليهوي" جاء للارتباط بأقوال "الإلوهيمي" السابق له ويكملها، وبذلك ابتدعت نظرية المصدر التكميلي.(٢)

خلل نظرية التكميلي: المكمل:

عندما بدأ هوبفلد في إظهار نظرية أصحاب المصدر الكامل إلي حيز التنفيذ والتعبير بين الطبقة الإضافية لليهوي المكمل وبين المصدر الأساسي للإلوهيمي توصل علي الطور لعيوبهما سوياً، فقد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أي إشارة داخل المصدر الأساسي، لذاك من المستحيل الحديث عنها، لأنها ليست حكمة فقط وليست مؤلفاً قائماً بذاته وإلي هذا الحد لا يمكن تصور أن اليهودي مكمل فحسب ويظهر ذلك النموذج بوضوح في قسم الطوفان في سفر التكوين (٦-٨).

فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يتبعون في هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسي والمصدر المكمل علي هذه الصورة، بأن هذا الحدث وجد في المصدر الأساسي، وأن المكمل اليهوي أضاف عليها فقط.(٣)

نظرية المصدر الأساس والمصدر المكمل:

لم يحقق الفكر النقدي الطمأنينة بسبب العثرات الموجودة في "الإلوهيمي" عند نظرية المصدر المكمل وعلي أساس نظرية المصدر المكمل تضاءلت قيمة اليهوي بصفته مؤلفاً، ونسبت إلي المصدر المكمل وظيفتان جديدتان وميزتان، هما: مهمة

(١)نفسه،ص ١٤٤،١٤٥.
(٢)نفسه،ص ١٤٥.
(٣)تاريخ نقدالعهدالقديم من اقدم العصورحتى العصرالحديث،زالمان شازار،ص١٢٣.

المحرر ومهمة المكمل، وضخموا الوظيفة الأولي وطوروا في الثانية وعلاوة علي ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الإلوهيمي لمصدرين (إلجن) وتحدثوا عن "المصدر الأساسي" بمثابة مؤلف واحد وكامل، كما لو كان كله "قطعة متجانسة"[١]

المرحلة السادسة: هوبفلد ونظرية الوثائق الجديدة:

عندما بدأ هوبفلد في إظهار نظرية أصحاب المصدر المكمل إلي حيز التنفيذ، والتمييز بين الطبقة الإضافية لليهوي المكمل وبين المصدر الأساسي للإلوهيمي توصل لعيوبهما سوياً، فوجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أي إشارة داخل المصدر الأساسي.

لذلك من المستحيل الحديث عنها، لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفاً قائماً بذاته، ولا يمكن تصور أن اليهوي مكملاً فحسب، ويظهر ذلك النموذج بوضوح في قسم الطوفان (التكوين)، فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يبتغون في هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسي والمصدر المكمل علي هذه الصورة، بأن هذا الحدث وجد في المصدر الأساسي وأن المكمل اليهوي أضاف.[٢]

بدأ هوبفلد فحص ذلك ووجد أن أقوال اليهوي تشمل في داخلها رواية كاملة ومميزة وغير مرتبطة كلية بالمصدر الإلوهيمي، فقرر تقسيم رواية الطوفان ووجد روايتين كاملتين غير مرتبطتين الواحدة بالأخري مطلقاً.

لذلك لا يمكن الاعتقاد أن "اليهوي" مكمل فقط ، ولم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسي وتعديله، بل علينا أن ننظر إليه كمؤلف متميز لا يرتبط كلية "بالإلوهيمي" وأن أحداثه تستخدم مصدراً قائماً بذاته.[٣]

علاوة علي ذلك فإن مادة "المصدر الأساسي" طبقاً لرأي أصحاب نظرية المكمل جاء المحرر اليهوي ليكمله، ليس كما اعتقدوا: قطعة واحدة، بل يشمل مصدرين مختلفين الواحد عن الآخر.

كما لاحظ إلجن ذلك في عصره، وبما أن جوهر اختلاف المصادر لم يحدث إلا لإظهار الروايات المزدوجة، وبما أنه لا تزال في "المصدر الأساسي" أو "الإلوهيمي" تكرارات عديدة باقية، يفهم من ذلك أن هذا المصدر لا يزال يخضع للتقسيم.[٤]

---

(١)تاريخ نقد العهد القديم ،ص١٢٢،١٢٣
(٢)نقد التوراة في الفكر اليهودي ،ص ١٤٦ ، ١٤٧
(٣)المرجع السابق،ص ١٤٧،١٤٨
(٤)نفسه ،ص ١٤٨

وواصل هوبفلد مستعرضاً أقوال إلجن وأحصي الروايات المتكررة داخل المصدر الإلوهيمي في سفر التكوين فقط، وعلي سبيل المثال قابل الروايات هذه مقابل تلك وفقاً لاختلاف أسماء "لوز" لبيت إيل" (التكوين) ويعقوب لإسرائيل، أو يقول في موضع واحد: أن إبراهيم طرد إسماعيل ابن الأمة.

وفي موضع آخر يجد: عند موت إبراهيم كان لا يزال إسماعيل معه وغير ذلك، استمر هويفلد موالياً للتمييز السابق الذي أطلقه إلجن لهذين المصدرين، وواصل وقسم "المصدر الأساسي" إلي مصدرين.(١)

هكذا تطور بحث العهد القديم، ولم يعد الحديث قاصرًا علي نظرية مصدرين فقط وزمنهما غير معروف والاختلافات بينهما علي أساس أسماء الألوهية فحسب، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة، يمثل المصدر التثنوي أحدها ونشر زمن الملك يوشيا، أما الثلاثة الأخرى فهي "اليهوي" و "الإلوهيمي أ " و "الإلوهيمي ب"، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد غير أن الطابع الأدبي ظاهر ووحدتهم أكيدة.

لكن لا تزال توجد شواهد عن تقدم وتدهور متنوع لعلم العهد القديم غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية علي ما هي عليه ، فأسماؤها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقي في جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة في بحث العهد القديم.(٢)

وخلاصة ما سبق، أن تحصيل النظريات المصدرية للتوراة وما يرتبط بها من قضايا بشكل تفصيلي، مطمح يضيق عنده المجال، ولا تسعه هذه الدراسة، لأن كل نظرية في حد ذاتها تحتاج إلى معالجة خاصة من خلال أسسها ومقوماتها والمواضيع التي قامت بدراستها، ولكن الهدف المراد الذي نروم بلوغه هو مجرد توضيح بعض الجوانب الأساسية المتصلة بهذه النظريات عبر تناول وطرح يتلاءم مع المساحة المخصصة للبحث.

وبرغم ذلك فيمكن تلخيص مجمل ما سبق في نقاط:

١- توجد نظريات عدة حاولت معرفة أصول مصادر التوراة.

٢- الاتجاهات اللاهوتية والتقليدية تصر على فكرة أساسية وهي أن التوراة في شكلها الحالي هي التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام.

٣- تميز القرن التاسع عشر والعشرين بتأسيس مناهج نقدية حديثة ساهمت في

---

(١)نفسه ،ص ١٤٨،١٤٩

(٢)نفسه ،ص ١٤٩

تطوير علم النقد الكتابي.

٤- أدت النظريات المصدرية للتوراة إلى تحويل النظر عن موثوقية التوراة الحالية ومصادرها.

٥- أحدثت هذه النظريات تطورا كبيرا في مضامين العهد القديم ومصادره.

نظرية المصادر والفرضية الوثائقية من عصر فلهاوزن وحتى العصر الحاضر: أو (نظرية فلهاوزن)

حدد علماء نظرية الوثائق الجديدة (die neure urkundenhypothese) ومنهم: هوبفلد(h.hupfeld)، ريهم(e.rihem)، وديلمان(a.dillmann) وغيرهم مصادر التوراة في ثلاثة مصادر باستثناء مصدر التثنية(deutrono mist) الذي اكتشفه دي- فته(de – wette) وحدده داخل سفر التثنية ما عدا الإصحاحات الأخيرة من السفر.[١]

والمصارد الثلاثة الأخرى التي حددها علماء نظرية الوثائق الجديدة هي: (jahwist)اليهوي وهو نفسه عند أصحاب نظرية الوثائق (die altere urkundenhgpo these) ثم المصدر الإلوهيمي أو الإلوهيمي(أ) (die jungre elohist) وقد أشار إلى ذلك إلجن من قبل – واللذان يقابلان المصدر الإلوهيمي عند أصحاب نظرية الوثائق القديمة فأصبح منذ ذلك العصر الحديث الحديث عن أربعة مصادر أساسية للتوراة تزداد أو تقل في حجمها طبقًا لرؤية واتجاه كل ناقد من نقاد العهد القديم.[٢]

(١)تاريخ الآباء وديانتهم ،ص ١٧٩
(٢)المرجع السابق، ص١٧٩.

تطور نظرية المصادر من عصر فلهاوزن وحتي العصر الحاضر :

منذ قرن تقريبا، استخلص جي فلهاوزن من نتائج ما يزيد علي عقدين من الدراسات النقدية –التاريخية للعهد القديم ما سمي " الفرضية الوثائقية " لأصول الأسفار الخمسة. توصلت هذه الفرضية إلي أن الاسفار الخمسة بالأولى والكتب الستة الأولى من الكتاب المقدس قد تم تشكيلها من أربعة عناصر مستقلة عن بعضها في الاصل (يشير اليها الدارسون بصورة عامة ب :"جي، اي ، دي، بي" (وهي المصادر اليهوهية والايلوهية والتثنية والكهنوتية) وتعود بتاريخها من العهد الملكي القديم الي عصور ما بعد النفي.[١]

هدف فلهاوزن من تحليله النقدي للأسفار الخمسة الاولى، كان تاريخيا، وهو أن يثبت عبر تفهم تاريخ تأليف وتطور الأسفار الخمسة الاولي كنص مركب، بينات علي التطور التاريخي لديانة إسرائيل القديمة.[٢]

وأصبح هذا المصدر يوازي المصدر الإلوهيمي(ب) عند أصحاب نظرية الوثائق الجديدة، وعرف منذ الحين المصدر الإلوهيمي(ب) باسم المصدر الإلوهيمي فقط.[٣]

نجاح هذا البديل في القرن التاسع عشر عن التأليف الموسوي للأسفار الخمسة الأولي، أعطي قوة متزايدة وقبولا للقول بالتأليف البشري كنقطة انطلاق لكافة الدراسات التوراتية ودعما للاتجاه المتنامي نحو الفصل بين الدراسات الأكاديمية النقدية والتفسير التوراتي ذي الدوافع اللاهوتية، ورغم ذلك ، فقد بذلت، خلال القرن الذي تلا فلهاوزن، جهود عديدة لإقامة جسر بين هذه الفجوة المتسعه باضطراد ومحتوي الدراسات التوراتية، في الجامعات والمعاهد التي تضمنت تدفق سيل من اللاهوتيين الملتزمين بإقامة هذا الجسر، إلا أن هذه الازدواجية استمرت. وتركز الدور الجديد للأبحاث التاريخية التوراتية علي تفهم التأويل كنظام ثقافي نقدي ذي دور خاص ومستقل في المجال الأكاديمي، مما يجعل إبقاء الدراسات التوراتية كفرع للاهوت أمرا صعبا. وطالما أصر اللاهوتيين بعناد علي الإيمان بحقيقة او تاريخانية ما ورد في التوراة، كان التحدي الذي فرضه البحث التاريخي قويا لا يرحم.[٤] قام آخرون بتقطيع هذه المصادر إلى أجزاء صغيرة لتصبح التوراة مفتتة إلى عشرات

(١)التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ،ص ٩
(٢)المرجع السابق ،ص ٩
(٣) تاريخ الآباء وديانتهم: رؤية نقدية..، د. أحمد محمود هويدي، ص١٨٠.
(٤)التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي ،ص ١١

الأجزاء.[١]

وقد وصلت دراسة النقد المصدري إلى أوجها على يد عدد من الباحثين الألمان(رويس وجراف – وفلهاوزن) وسميت نظرية المصادر اختصاراً باسم(نظرية فلهاوزن) على أساس أن جهوده كانت الأبرز فيها وبالطبع فقد تعرضت هذه النظرية لنقد قوي خاصة في الدوائر البريطانية والأمريكية وبين الكاثوليك الرومان عامة واليهود أيضًا وتعالت الأصوات ضد(الكفر الألماني) و(الجانب المظلم من التنوير) الذي يتعامل مع الكتاب المقدس وكأنه كتاب عادي.[٢]

مضامين الفرضية الوثائقية :نموذج تطبيقي

لئن حددت المراحل الأساسية للنظريات المصدرية ومضامينها، وانتظمت على النحو السابق، فإنها تبقى في حاجة إلى الانتقال من البعد النظري إلى البعد العملي، ذلك أن النظريات في مجملها وسياقاتها النقدية تبدو في حاجة ماسة للتكامل بين هذين الجانبين (النظري والتطبيقي).

وعناية بالجانب الأخير، سوف أعتني بإبراز مضامين الفرضية الوثائقية كنموذج تطبيق يصدق على هذه النظريات بشكل عام، وعلى نظرية فلهاوزن بشكل خاص.

روايتان لتاريخ إسرائيل التالي:

بدأت الأسفار(أي الكتب والفصول) الأربعة الأولى من الكتاب المقدس، التكوين – الخروج – اللاويين – العدد نتاج دمج بارع بين المصادر "جي، إي، بي"(أي المصدر اليهودي والإلوهيمي، والكهنوتي) في حين كان وضع الكتاب الخامس –أي سفر التثنية- مختلف تمامًا، لأنه حمل مصطلحات مميزة(لا يشاركه فيها أي من المصادر الأخرى) كما تضمن إدانة شديدة لعبادة الآلهة الأخرى، وطرح تصورًا جديدا لله ككائن متعال جدًا، ونص على التحريم المطلق لتقديم أي قرابين لإله إسرائيل في أي مكان سوى الهيكل في أورشليم. وقد اعترف العلماء منذ عهد بعيد بارتباط محتمل بين هذا السفر، وكتاب غامض آخر هو: سفر الشريعة الذي اكتشفه الكاهن الأكبر حلقياه، أثناء إعادة بناء الهيكل في عهد حكم الملك يوشيا(osiah) سنة ٦٢٢ق.م، وقد أصبحت هذه الوثيقة كما يروى سفر الملوك الثاني(٢٢/٨ – ٢٣/٢٤) مصدر إلهام لإصلاح ديني ذي شدة لا نظير لها من قبل.[٣]

---

(١)مناهج النقد الغربي للعهد القديم، د/ أحمد عبد المقصود الجندي، مقال منشور على(أون إسلام نت) بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.

(٢) المرجع السابق

(٣) التوراة اليهودية مكشوفة، ص٣٨.

فنجد مجموعة من الروايات تستخدم أثناء روايتها التاريخية الاسم الرباعي يهو بشكل مستمر والذي يعترض أكثر العلماء على أنه يلفظ بكسر الواو أي يهو(yahweh) وتبدو مهمته أكثر بكثير بقبيلة يهوذا ودولتها الجنوبية في رواياتها المختلفة، في حين تستخدم المجموعة الأخرى من القصص الاسم إيلوهيم(Elohim) أو إيل في حديثها عن الله وتبدو مهمته بشكل خاص ورئيس بالقبائل والأراضي التي تقع في شمال البلاد مثل قبائل إفرايم ومنسي(Manasseh) وبنيامين، وبمرور الوقت أصبح واضحًا أن التكرار اشتق من مصدرين متميزين كتبا في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة وقد أعطى العلماء الاسم جي(j) للمصدر اليهودي أي(yahwist) (تهجى jahvist في الألمانية) والاسم أي(e) للمصدر الإيلوهي(elohist) ؟ المصدرين على الترتيب.[١]

والتكرار هو الحالة التي تتكرر فيها نفس القصة في العهد القديم مرتين فتوجد قصتين مختلفتين لخلق العالم وقصتين عن العهد بين الرب وإبراهيم وقصتين لتفسير تسمية إسحاق وقصتين تصوران كيف ذكر إبراهيم أمام الملك الأجنبي أن زوجته سارة هي أخته. وقصتين عن رحلة يعقوب إلي أرام النهرين وقصتين عن ظهور ملاك الرب ليعقوب في بيت آبل وقصتين عن كيفية تغيير الرب لإسم يعقوب إلي إسرائيل وقصتين عن موسي الذي أخرج الماء من الصخر في المكان الذي يسمي مربية الخروج(١٧، ٧) وغيرها.

زعم القائلون أن موسي هو الذي كتب التوراة وأن التكرار ليس تكراراً بل هو دائماً قصص تكمل بعضها البعض ولا يوجد في هذا التكرار تناقض حقيقي بل ظاهري فقط، ظهر هذا الرأي بعد أن اكتشف الباحثون أن هناك مفتاحاً لهذه التكرارات ووجد أنه في معظم الأحوال يلقب الإله (يهوا) وفي موضع آخر (إلوهيم).

وهكذا أصبح من الممكن تقسيم هذا التكرار إلي مجموعتين قصصيتين متقابلتين، وكل مجموعة تحافظ علي استخدام نفس لفظ الألوهية، وأكثر من ذلك وجد الباحثون أن التقسيم إلي مجموعتين قد تناسق ليس في لفظ الألوهية فقط، ولاحظ الباحثون مصطلحات ومميزات أخري تناسب التقسيم لنفس المجموعات، وأيدت هذه الظاهرة الادعاءات القائلة بأن شخصا ما قد أخذ مصدرين قديمين ومنعزلين فصلهما ودمجها ثانية في مجموعة قصصية واحدة تشكل أسفار التوراة الخمسة.[٢]

إلا أن فلهاوزن (أهم ناقد للتوراة فى العصر الحديث) كما سبق يرى أن هذا

(١)المرجع السابق، ص ٣٨.
(٢)من كتب التوراة ،ص٢١

الترتيب والتأريخ لمصادر التوراة يعكس التاريخ الدينى لبنى إسرائيل بمراحله المختلفة، فالمصدر اليهوى ثم الإيلوهيمى يعكسان تاريخ الملكية والأنبياء، سفر التثنية يعكس الحركة الإصلاحية على يد يوشيا عام ٦٢٠ قبل الميلاد، ويدعو إلى مركزية العبادة، المصدر الكهنوتى فى عصر المنفى وما بعده يحصر العبادة فى أورشليم.

وقد تعرضت هذه المصادر بحسب نظرية فلهاوزن لثلاث عمليات تحرير وتعديل كبرى، لكن التأريخ النهائى لنشأة مصادر التوراة يضع فى الحسبان أكثر من ثلاث عمليات تعديل لمصادر التوراة:

١- المصدر اليهوى (حوالى ٩٣٠ ق . م) (J)

وبدأ عبارة عن بعض القصص والروايات والأغانى والأمثال.

٢- المصدر الإيلوهيمى (حوالى ٧٥٠ ق . م) (E)

٣- المصدر الإيلوهيمى (عام ٧٠٠ ق . م) (JE)

وهو عملية إضافة وتكملة للمصدر اليهوى والإيلوهيمى لتكوين قصة وتاريخ بنى إسرائيل المبكر، وتمت فى القدس.

٤- سفر التثنية (القرن السابع قبل الميلاد) (D)

٥- أعمال مدرسة تثنية الاشتراع (٥٦٠ ق . م) (DtrG)

وقد اتخذت من سفر التثنية أساساً لها، وأنجزت عملية تعديل مختلفة شملت أيضاً كتب الأنبياء.

٦- المصدر الكهنوتى الأساسى (بعد المنفى مباشرة) (PG)

٧- المصدر الكهنوتى الثانوى (القرن الخامس فى القدس) (PS)

٨- تحرير التوراة (حوالى القرن الرابع قبل الميلاد) (RP)

وهى عملية تعديل كبرى شملت جميع أسفار التوراة ومصادرها.[١]

و"بينما كانت أعمال فلهاوزن تتجه بشكل حاسم نحو عملية تاريخية إيجابية إعادة بناء تاريخ الديانة الإسرائيلية أدت مضامين الفرضية الوثائقية وإلى حد كبير إلى نفي أي قبول لتاريخانية مراجع روايات الأسفار الخمسة الأولى التي تشتمل لا على روايات الخليقة والأصول فحسب(التكوين ١- ٢) بل وعلى قصص البطاركة والأصول فحسب البحث النقدي التاريخي تضمن عنصرًا جدليًا خلافيًا حول قبول أو رفض مقولة فلهاوزن التاريخية وقلما غاب هذا العنصر من الأبحاث اللاحقة لعمله.[٢]

(١)المعتقدات الدينية لدى الغرب ص١٣٠

(٢) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص٩.

بنية المصادر التوراتية: دراسة تحليلية لمصادر التوراة حسب مفهوم نظرية المصادر والفرضية الوثائقية

نظرت مدرسة النقد المصدري إلى التوراة واعتبرت أنها قد مرت بمراحل عدة لتصل إلينا بهذا الشكل وأن كُتَّابًا ذوي أفكار مختلفة وأساليب لغوية متباينة شاركوا في عملية التدوين تلك وأن كل اتجاه من الاتجاهات التي كان ينتمي إليها هؤلاء الكتاب كان يمثل في الحقيقة فكرًا قائمًا بذاته نشأ في ظروف تختلف عن الظروف التي نشأت فيها الاتجاهات الأخرى. وأنه في مرحلة ما من التاريخ القديم تم مزج تلك الأجزاء المتفرقة كلها معًا في بوتقة واحدة لتشكل التوراة.(١)

والدليل على ذلك أنه "عندما نسيت التوراة في إسرائيل، جاء عزرا من بابل وأعادها، ثم نسيت ثانية فجاء هيلل البابلي وأقامها: إنها عبارة مألوفة في التقليد اليهودي. فقد كانت التوراة ولا تزال، تمثل تراث اليهودية الذي لم تطاله الأيدي. (٢)

أعيدت كتابة العهد القديم بأيدي كهنة أورشليم عندما زالت دولة إسرائيل ومع أنهم ضمنوه بعض مواد من الشمال(الرواية الإيلوهيمية) فإنهم كانوا أحرارًا في نبذ أية مادة لا تروق لهم وبالتالي كانوا قادرين على تحريف القصة كلها بل إن من الباحثين من يعتقد أن بعض المزامير استعارة كهنة أورشليم من طقوس العبادة الكنعانية. (٣)

وكان واضحًا أن عمل هذه المدرسة تطور من فكرة تتحدث عن اختلاف أسماء الألوهية في قصة الخلق في سفر التكوين إلى ملاحظة أن هذا الاختلاف يتخطى مسألة الأسماء إلى الأفكار والتوجهات، وأن هذا الاختلاف كان في الحقيقة يعبر عن وجود اتجاهين فكريين أو مصدرين في هذه القصة، ثم تطور الأمر فيما بعد إلى الحديث عن ثلاثة مصادر وتتبعها في سفر التكوين ثم تتبعها في أسفار التوراة الأربعة(التكوين – الخروج – اللاويين – العدد) حتى تم اكتشاف مصدر رابع ليصبح الحديث عن أربعة مصادر في أسفار التوراة الخمسة، وهذه المصادر هي(المصدر اليهوي ويرجع زمنه إلى منتصف القرن العاشر أو التاسع ق.م. والمصدر الإلوهيمي ويرجع للقرن التاسع أو الثامن ق.م. "والمصدر التثنوي"

(١) مناهج النقد الغربي للعهد القديم، مقال على الانترنت
(٢) التوراة في الفكر اليهودي، الراهب سرافيم البرموسي، ص٣ .٢٠٠٧ ب ط،
(٣) اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، د/ رشاد الشامي، ص٢١.

ويرجع للربع الأخير من القرن السابع ق.م ثم(المصدر الكهنوتي) ويرجع زمنه إلى منتصف القرن السادس ق.م.[١]

وهذه المصادر تم جمعها معًا في أواخر القرن الخامس ق.م. لتشكل معاً أسفار التوراة، وسرعان ما اتسعت حدود عمل مدرسة النقد المصدري بعد أن بدأ الباحثون تتبع أثر المصادر الأربعة خارج أسفار التوراة إلى أسفار الأنبياء والمكتوبات ورغم ما يربو على قرنين ونصف هي عمر مدرسة النقد المصدري فما زالت تحظى بالاهتمام الأكبر عند الباحثين في مجال دراسات العهد القديم وقد كان من نتائج الأبحاث التي عملت وفق منهج النقد المصدري أن أصبحت الأوساط العلمية تؤكد أن فكرة كتابة موسى –عليه السلام- للتوراة مستبعدة تمامًا، وغير منطقية، وذلك خلافًا لما ظل سائدًا في الدوائر الكنسية وعند المحافظين اليهود، حيث ظلوا يؤكدون على كتابة سيدنا موسى –عليه السلام- للتوراة، رغم أن الشواهد كلها كانت تثبت عكس ذلك، كذلك أصبح واضحًا أن التوراة تأثرت بالآداب القديمة لشعوب بابل وآشور ومصر والكنعانيين، بل وتأثرت المعتقدات القديمة الوثنية لهذه الشعوب أيضًا.[٢]

أسفار التوراة وأهم سمات المصادر:

تعددت الآراء واختلفت المواقف لدى علماء النقد المصدري تجاه المصادر الأساسية للتوراة منذ نشأتها إلى حدود استقرارها، فذهب فريق إلى كون المصادر الأساسية ترجع إلى اثنين فقط، وجنح فريق ثان إلى كونها ثلاثة، ثم عدها آخرون أكثر من ذلك.

وبين هذا وذاك يمكن القول: إن المصادر الأساسية للتوراةيمكن حصرها عندما

ميز العلماء أربعة مصادر كبرى[٣] اعتبرت الأساس في تدوين الأسفار الخمسة، بالإضافة إلى وجود مصادر أخرى أقل حجمًا أو قيمة وقد يكون أحد هذه المصادر الأربعة الكبرى عبارة عن اندماج مصدرين .

يمكن رسم تصور للمراحل التي مرت بها المصادر، وصولًا إلى الشكل النهائي لها المتمثل في التوراة على صورتها الحالية:

---

(١) مناهج النقد الغربي للعهد القديم، مقال على الانترنت.

(٢) المرجع السابق

(٣) أول من ميز تلك المصادر هو(جان استروك) طبيب الملك الفرنسي لويس الخامس عشر سنة ١٧٥٣ وتبعه إيخهورون(١٨٧٠ – ١٧٨٣) ثم إيلجن ١٧٩٨ وتتابعت بعد هؤلاء الأبحاث والاكتشافات وما أن حلت سنة ١٨٥٤ حتى كانت هناك أربعة مصادر مقبولة عند النقاد.

المرحلة الأولى:

كانت البداية مع المصدر اليهوي الذي تم تأليفه في المملكة الجنوبية(يهودا) ما بين القرن التاسع والثامن قبل الميلاد، ويصف هذا العمل الأدبي قصة بني إسرائيل من بداية العالم، وحتى الدخول إلى أرض كنعان بقيادة يشوع. (١)

١-المصدر اليهوي أو الوثيقة اليهوية: يرمز له بالحرف(أ) وقد سمي بالمصدر اليهوي لأنه يسمي الله(يهوه)[٢] منذ العصور الأولى للبشرية قبل أن يتم كشفه لموسى.[٣]

يرجع هذا المصدر إلى القرن التاسع ق.م وربما إلى نهاية القرن العاشر وبداية القرن التاسع، أما مكان ظهوره فهو مملكة يهوذا التي عاصمتها أورشليم(القدس)[٤] وقد صنفه كتبة من أسباط الجنوب اعتمادًا على مواد شفهية هي عبارة عن أخبار تتردد في الأفواه والآذان وربما اعتمدوا أيضًا على مواد كتابيه.[٥]

١- المصدر اليهوي:

يسمي الله(يهوه) قبل أن يتم كشف هذا الاسم لموسى فبحسب هذا المصدر اسم(يهوه) معروف منذ نشأة البشرية[٦] كما يتسم بأنه راوي قصص ونادرًا ما تجد فيه نصوصًا تشريعية بالإضافة إلى أنه يمثل وجهة نظر دينية فهو يصور الله في صورة حسية كأنه إنسان فهو يمشي ويندم ويأكل ويزور(فسمعا وقع خطى الرب الإله وهو يتمشي في الجنة عند نسيم النهار)(تكوين ٣:٨) و(أغلق الرب على نوح) (تكوين ٧: ١٦) وما أغلب ما تشكك النقاد من هذه التشبيهات البشرية[٧] ويدل هذا على أن الوسط الذي صدر منه هذا المصدر هو وسط تشبيهي(مشبهة). وكثيرًا ما يذكر هذا المصدر البركات واللعنات حتى أصبحت من أهم سماته كبركة إبراهيم ولعن كنعان.

---

(١) المصدر اليهوي في التوراة، ص١٨، بتصرف بسيط.

(٢) معنى(يهوه) بالعربية هو(ياهو) فهو مكون من حرف النداء(يا) والضمير(هو). الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد ديدات، ص ٧٨،ط المختار الإسلامي، ب.ت.

(٣)علم التفسير، د. القس فهيم عزيز، ص١٥١

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي، د/ حسن ظاظا: ص٢٩. الكتب التاريخية في العهد القديم، د. مراد كامل: ص٥٢.. و موريس بوكاي: ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٢٨.

(٥) دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي ،ص٢٩.

(٦) الفلكلور في العهد القديم، جيمس فريزر، ج ١،ص١١١،دار المعارف ١٩٨٢

(٧)الفلكلور في العهد القديم، فريزر، ص٢٨.

وأخيرًا ومع تطور الأبحاث النقدية للعهدين القديم والجديد اكتشف بعض النقاد[١] بأن هناك مصدرًا أقدم من اليهوي(ربما بمدة قليلة) اندمج باليهوي بعد ذلك وأصبح جزءًا لا يتجزأ منه وقد أطلقوا عليه اسم المصدر العلماني لخلوه من الأفكار الكهنوتية ورمزوا له بالحرف(L)[٢].

٢- المصدر الإيلوهيمي أو الوثيقة الإيلوهيمية:

المرحلة الأولى:

تبع هذا المصدر بحوالي قرن من الزمان تأليف المصدر الإيلوهمي كرؤية مستقلة عن المصدر اليهوي. وعلى الرغم من أن المصدر الإلوهيمي يصف نفس التاريخ الذي يصفه المصدر اليهوي، إلا أنه يتجاوز الإصحاحات(١ – ١١) من سفر التكوين ليبدأ قصته مع إبراهيم –عليه السلام-[٣].

يرمز له بالحرف(E) وقد سمي هذا المصدر بالإيلوهيمي لأنه يسمي الله(إيلوهيم) [٤] إلى أن تم كشف اسم يهوه لموسى(خروج ٣: ١٥) [٥]. ويرجع هذا المصدر إلى القرن الثامن ق.م، أما مكان ظهوره فهو مملكة إسرائيل في الشمال وقد صنفه كتبة من أسباط الشمال اعتمادًا على مواد شفهية هي عبارة عن أخبار تتردد في الأفواه والآذان(كما في المصدر اليهوي فهي دورة ثانية للأخبار التي رواها المصدر اليهوي) وربما اعتمدوا أيضًا على مواد كتابية[٦].

وقسم المصدر الإيلوهيمي إلى مصدرين ليصبح الحديث عن ثلاثة مصادر(اليهوي – الإيلوهيمي – الكهنوتي) وأصبحت دراسة هذه المصادر تطبيق على الأسفار الأربعة الأولى من التوراة(التكوين – الخروج – اللاويين – العدد) إلى أن اكتشف العالم الألماني"دي فته" المصدر التثنوي الذي يرتبط أساسًا بسفر التثنية وهو السفر الخامس من أسفار التوراة وأصبح الحديث عن أربعة مصادر منذ ذلك الوقت وإن كان بعض الباحثين قد زاد عليها مصدرًا.

---

(١) تم هذا الكشف على يد الناقدين الألمانيين إيسفلت وسمند.
(٢)الكتب التاريخية في العهد القديم، د.مراد كامل ، ص٥٢.
(٣) المصدر اليهوي في التوراة، ص١٨، ١٩، بتصرف .
(٤).المرجع السابق،ص ١٩
(٥)نفسه،ص ١٩.
(٦)المصدر اليهوي في التوراة، ص١٩، بتصرف .

المرحلة الثانية:

في حوالي القرن السابع قبل الميلاد، اندمج المصدران اليهوي والإلوهيمي في عمل أدبي واحد بواسطة محرر أو مدرسة من المحررين لظروف سياسية واجتماعية مضطربة.

تعرض هذا العمل الأدبي لعملية أخرى من التحرير في القرن السادس قبل الميلاد حيث تم إدماج ما يعرف بالمصدر التثنوي إلى المصدرين اليهوي والإلوهيمي. (١)

المرحلة الثالثة:

وأخيرًا يأتي المصدر الكهنوتي ليكون المرحلة الأخيرة في عمليات التحرير، وينضم في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد إلى المصادر الثلاثة السابقة. وفي كل مرحلة من هذه المراحل كان كل محرر أو مجموعة من المحررين يعدل وينقح في هذا العمل الأدبي، حتى خرج في صورته النهائية على يد الكاهن عزرا. (٢)

٣- اندماج المصدرين اليهوي والإيلوهيمي:

عندما سقطت مملكة إسرائيل على يد الآشوريين سنة(٧٢١ ق.م)(٣) هرب بعض الناس الذين أفلتوا من القتل والسبي إلى مملكة يهوذا حاملين معهم المصدر الإيلوهيمي حيث دمج بينه وبين المصدر اليهوي ويحتمل أن يكون كتبة بلاط حزقيا ملك يهوذا هم الذين قاموا بعملية الدمج(٤) وفي الحقيقة كلمة(الدمج) غير صالحة وغير ملائمة(٥)؛ لأن النقاد استطاعوا عند دراستهم للتوراة تمييز النصوص التي ترجع إلى كل مصدر كاختلاف وجهات النظر الدينية وكإيراد روايتين متناقضتين عن خبر واحد وغير ذلك فهذه العملية عملية جمع لا دمج. وأخيرًا فقد اصطُلح على تسمية هذين المصدرين بعد الجمع باليهلوهي(٦).

---

(١) المرجع السابق، ص١٩، بتصرف .
(٢) نفسه، ص١٩، بتصرف .
(٣) راجع : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر ، ج١، ص٥١٠، ٥١١، ج٢، ص٢٩٤،.٢٠٠٩ دار الوراق، و تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة ،ج ١ ص٢٠٧ط شركة الاعلانات الشرقية،ب.ت..
(٤)المصدر اليهوي في التوراة،٢٠، بتصرف .
(٥)المرجع السابق، ص٢٠، بتصرف .
(٦)نفسه،٢٠، بتصرف .

٤- المصدر التثنوي(مصدر تثنية الاشتراع) أو الوثيقة التثنوية:

يرمز له بالحرف(D) وقد سمي هذا المصدر بالتثنوي لأنه موجود خاصة في سفر تثنية الاشتراع ولو أنه أثر في أسفار أخرى إلا أنه يشكل الجزء الأعظم من سفر التثنية فلا ترد في السفر بقية المصادر(اليهوي والإيلوهيمي والكهنوتي) إلا أنه في أواخر السفر من الإصحاح(٣١) فيما بعده[١].

أما متى نشأ هذا المصدر؟ فترجع أصول هذا المصدر إلى مملكة إسرائيل الشمالية.

٥- المصادر: اليهوي الإلوهيمي وتوراة الكهنة:

النظرية التي وضعها هوبفلد بشأن المصادر الثلاثة للأسفار الخمسة باستثناء سفر التثنية الذي هو مصدر قائم بذاته اتخذت حاليًا أساسًا جديدًا عند جراف حيث ساد الحديث عن المصادر اليهوي والألوهيمي وتوراة الكهنة فعلى أساس استنتاج دي فتة بأن سفر التثنية ألف في عصر يوشياهو أقام جراف نظريته بأن اليهوي والألوهيمي سابقان لعصر يوشياهو وأن مصدر توراة الكهنة ألف بعدهما.[٢]

علاوة على ذلك فقد حدد في عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التي ركبت منها الأسفار الخمسة للتوراة وتزيد الباحثون فأضافوا وحذفوا وأدخلوا من عندهم جراف وكما هي مقبولة كثيرًا وقليلًا في العلم حاليًا وذلك باستثناء المصدر التثنوي الذي يفي بمثابة وحدة واحدة.[٣]

والملاحظ أن الكلام في سفر التثنية وضع على لسان موسى –عليه السلام- لإضفاء الشرعية عليه حتى يكون مقبولًا بين الناس.

٦- المصدر الكهنوتي أو الوثيقة الكهنوتية:

يرمز له بالحرف(P) وقد سمي هذا المصدر بالكهنوتي لأنه ألف من قبل الكهنة أو لأنه يهتم خصوصًا بممارسة الناموس وتعليمه وتنظيم العبادة وهي أهم أعمال الكهنة. أما وقت التأليف فإن العلماء متفقون تقريبًا في الوقت الحاضر على أن الأجزاء الكهنوتية الورادة في التوراة الآن قد تجمعت وتدونت منذ منفى بابل، وربما اكتمل قسم منها منذ ذلك الحين وهناك اتفاق على أن أصل الكتاب عند يهود بابل

(٢) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص١٣٣.
(٣)المرجع السابق، ص١٣٣.

وليس عند يهود فلسطين فيكون وقت ظهوره هو القرن الخامس وربما السادس ق.م.[١]

هذا الطرح السابق لمجمل النظريات النقدية لمصادر التوراة يقودنا مباشرة إلى النقطة المركزية التي انطلق منها، وهي أن خلاصة المصادر التي تعود إليها التوراة تتكون من أربعة مصادر مختلفة:

١- مصدر يحمل اسم(يهوه) علمًا على رب العبرانيين الوطني القديم، وهو يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد ورواته كانوا من الجنوب، مما كان يسمى(مملكة يهوذا).

٢- مصدر يحمل اسم(الوهيم، علما على الله باسمه المنتشر في أسباط إسرائيل العشرة في الشمال، وهذه المدرسة ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.[٢]

٣- مصدر تثنية الشريعة، وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقي بالًا إلى القصص الشعبي، وخلاصة ذلك أن التثنية قد كتبت لأول مرة في غضون القرن السابع قبل الميلاد، ثم اعتبرت جزءًا من توراة موسى ٦٢١ق.م.

٤- حواشي الكهنة، وترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد وهذه الحواشي قد أضيفت إلى نص التوراة في عهد عزرا ونحميا أي بعد العودة من السبي البابلي وهي فترة وصل فيها الكهنة والأحبار إلى قمة قوتهم وكامل سيطرتهم على مقدرات اليهود[٣].

والخلاصة أنه يتضح أن الحديث عند علماء النقد لم يعد قاصرًا على المصادر الرئيسية المركب منها التوراة، بل أصبح الحديث عن مئات من المصادر المركب منها التوراة.

وفي هذا الإطار التمايزي بين مصادر عدة وعلاقتها بأسفار التوراة الحالية يمكن تفسير مجمل الإضاءات، والعناصر السابقة في نفاط أهمها:

١- يتميز المصدر اليهوي بالطابع الروائي والقصصي وليس التشريعي.

٢- يعتبر المصدر الإيلوهيمي أيضا بمثابة إعادة وتكرار لنفس المضامين التاريخية والروائية في المصدر اليهوي.

٣- أثر المصدر التثنوي في بقية أسفار التوراة بشكل ملحوظ.

٤- المصدر الكهنوتي هو من وضع الكهنة وتأليفهم؛ لأنه يختص بالطقوس وممارسة العبادة.

---

(١)المصدر اليهوي في التوراة،٢٠.

(٢) مقارنة الأديان، د/ أحمد الخطيب، ص٩٧ط ١،دار المسيرة -عمان.

(٣) الفكر الديني اليهودي اطواره ومذاهبه، د/ حسن ظاظا، ص٢٦,٢٨،ط١٩٩٠،دار القلم -دمشق . مقارنة الأديان، د/ محمد أحمد الخطيب، ص٩٨.

المبحث الثالث

الحقيقة (النظرية) الإسلامية عن المصادر التوراتية

لعل الجانب الذي غفل عنه علماء النقد الكتابي وأصحاب نظرية المصادر في الغرب، وما يزال غائبا في تناولهم لقضية المصادر التوراتية، هو النظرية الإسلامية عن مصادر التوراة، أو كما أحب أن أطلق عليها (الحقيقة الإسلامية عن مصادر التوراة)؛ وذلك لأن كل ما جاء في القران الكريم عن التوراة حق وصدق، وإذا أطلقنا عليها (النظرية الإسلامية) فمن باب المجاراة العلمية في قضية المصادر.

لقد تحدث القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة عن مسألة إعادة كتابة التوراة، وما حدث لها من تحريف وتشويه.

إن ما رآه القرآن الكريم، وما تحدث عنه في هذه القضية لا يمكن الاستغناء عنه، أو التغافل عما قرره، بل إنه يجب أن يعد ضمن منجزات هذا العلم (النقد الكتابي).

نحن نعرف أن هذا الكتاب المقدس المسمى بالعهد القديم(أو التوراة) قد حرفه اليهود كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وجاء أيضا: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2] وأيضًا قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[3].

تشويه الكتب المقدسة:

تقودنا هذه المقدمة إلي الحديث عما طرأ علي الكتب المقدسة لدي اليهود من تشويه، مستندين إلي كثير من الأفكار التي فندها سبينوزا وتحليلاته واستخلاص أبعاد نتائجهم، وينبغي قبل كل شيء أن نتمسك بقاعدة تعصمنا من الزلل، وهي أن ما أوحاه الله، هو اليقين الذي ينبغي من جهة أخري أن نؤمن بالكتب المقدسة؛ لأنها جاءت من عند الله.

---

(١) سورة البقرة: الآية٧٥.
(٢) سورة البقرة: الآية٧٩.
(٣) سورة المائدة: الآية٤١.

مع ذلك فهذا لا يمنع من إصدار الحكم النقدي علي صحة النصوص التاريخية، ويكون لدينا إذن نقد النصوص، لتقرير أخطاء النساخ والزيادات المقصودة للرواة ومحاولة العثور علي النص الأصلي بلا زيادة أو نقصان، ثم يأتي النقد الأدبي لتحويل النص إلي نوعه الأدبي، الشعر، الملحمة، الرواية، الأسطورة، الرمز، المثل .

أخيراً يأتي النقد التاريخي لحسم مشكلة الصحة التاريخية، التي تشمل أولاً إثبات صحة نسبة النص إلي المؤلف المنسوب إليه، وهو ما سماه النقاد المحدثون نقد المصادر، وهو ما سماه علماء الحديث قديماً "السند" وثانياً إثبات تكامل النص من حيث المضمون، وما سماه علماء النقد المحدثون، نقد إعادة تكوين النص، وما سماه علماء الحديث قديماً "المتن".[١] وقيل إنه لكون الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولًا بالدليل التام أن هذا الكتاب كتب بواسطة نبي ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، وأن الاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي فيه.[٢]

ولا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى –عليه السلام- من تصنيفاته وتواترها منقطع قبل زمان يوشع والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من توليه لا اعتماد عليها، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت أيضًا غالبًا قبل حادثة بختنصر وفيها انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم من الوجود كلية ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت بنسخها وأكثر نقولها في حادثة أنثيوس ثم يقولون إن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنعهما عزرا بإعانة حجي وزكريا الرسولين.

ومع ذلك فقد تناقض كلام هؤلاء الأنبياء الثلاثة في الباب السابع والثامن من السفر الأول في بيان أولاد بنيامين وكذا خالفوا في هذا البيان هذه التوراة المشهورة، الأول في الأسماء، والثاني في العدد حيث فهم من الباب السابع أن أبناء بنيامين ثلاثة، ومن الباب الثامن أنهم خمسة، ومن التوراة أنهم عشرة واتفق علماء أهل الكتاب أن ماوقع في السفر الأول غلط، وبينوا سبب وقوع الغلط أن عزرا ما حصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء وأن أوراق الثلاثة كانوا متبعين للتوراة فلو كانت توراة موسى هي هذه الاوراق التي بين أيدينا لما خالفوها ولما وقعوا في الغلط ولما أمكن لعزرا أن يترك التوراة ويعتمد على الأوراق ... فعلم أن هذه التوراة التي بين

---

(١) كيف زيف اليهود الكتب المقدسة،موسى الزعبى، ص١٤-١٥ بتصرف واختصار،دار المنارة – ب . ت .

(٢) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، ص٩٣. بتصرف.

أيدينا ليست هي التوراة التي صنفها موسى وليست التوراة التي كتبها عزرا وحجي وزكريا لأنه لا يعقل أن يكون الثلاثة من الأنبياء حسب الاعتقاد اليهودي ويتردوا في هذه الأخطاء ولا يكونوا بمعصومين عن الخطأ في التحرير والتبليغ فعلم أن هذه التوراة المشهورة ليست هي التوراة الحقيقية.[١]

وبالرغم من هذا فإن التوراة ما زالت كتاب اليهود المقدس الذي يجب أن ندرس ما فيها من الناحية الدينية والعقلية[٢]، خاصة وأن هذه الأسفار احتوت على مخالفات دينية وعلمية كثيرة وكبيرة.

أولاً :نشأة التوراة الحالية ومصادرها

التوراة: كتاب سماوي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى –عليه السلام-، قال تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣]﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٤]﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[٥] ولكن هل هذه الأسفار الخمسة(التي تكلمنا عنها سابقًا) المسماة بالتوراة والتي يؤمن بها اليهود والنصارى وينسبونها إلى سيدنا موسى –عليه السلام- هي نفس التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى أم لا؟

ومن خلال استقراء ما سبق يتضح لنا أن التوراة الأصلية لا وجود لها ولكن هناك رأيان حول اتصال سند التوراة: النقد التاريخي المصدري:أو ما يعرف في المفهوم الإسلامي (بالسند).

الأول : وهو فقدان السند المتصل.

ويتبني هذا الرأي الشيخ رحمة الله الهندي[٦] الذي يذكر أن جمهور أهل الكتاب متفقون أن عزرا هو الذي صنف التوراة الحالية فقد جاء في تواريخهم ما نصه :" أحرقت التوراة وماكان أحد يعلمها، وقيل: إن عزرا جمع مافيها مرة أخري بإعانة روح القدس . إن التوراة المتداولة الآن ليست هي التي أنزلت علي سيدنا موسي – عليه السلام

(١) المرجع السابق، ص٩٣.
(٢) الوعد الإلهي في العهد القديم، د/ محمد عبد السلام منصور، ص١٧٠.
(٣) سورة البقرة: الآية٥٣.
(٤) سورة المؤمنون: الآية٤٩.
(٥)سورة المائدة: الآية٤٤.
(٦) إظهار الحق، ج٢٧٢/١

يقول الشيخ رحمه الله الهندي: "إنه لا بد لكون الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولًا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل والاستناد إلى شخص ذي إلهام(كموسى أو عيسى) بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وهذا حال التوراة الحالية إذ ليس لدى اليهود أي سند يُرجع التوراة الحالية إلى موسى إلا مجرد النسبة وهي لا تكفي، ولأنه وُجدت أسفار أخرى منسوبة إلى موسى كسفر اليوبيلات أو التكوين الصغير وسفر انتقال موسى ولكنها رُفضت من قبل اليهود والنصارى واعتبرت منحولة ولا تمت بصلة إلى موسى مع أن التوراة تشترك معها في انقطاع السند فكان الواجب رد التوراة كما رُدُت تلك الأسفار"[١].

إن ما طرحه ابن حزم يعد أقوى ما كتب من نقد للتوراة تاريخيًا وأخلاقيًا ولا ريب أن سبينوزا قد استلهم في مقالته"رسالة في اللاهوت والسياسة" كتاب ابن حزم فإن هذا الكتاب ليعتبر بحق أساس ما اصطلح عليه باسم النقد التاريخي للكتب المقدسة وكان ملهما للسموأل ولكثير من اليهود بعد[٢].

لقد كان بن حزم يعنف في نقده للتوراة حتى اعتبر نقده أساسًا لكل نقد لاحق معاد للسامية ولنلاحظ أن نقد فولتير غير اليهودي لم يكن يختلف كثيرًا عن نقد سبينوزا اليهودي لليهودية أو نقد سموأل بن عباس المغربي(١٢٢٥ – ١٢٧٥) الذي أسلم ونشر كتابه(إفحام اليهود) وقد يكون من المفيد أن نقارن بين كتاب السموأل ونقد اسبينوزا وفولتير وإنا لنجد المفكر اليهود الذي تربى في دائرة الثقافة الإسلامية أكثر دراية بالتوراة والتراث وهو يبني فلسفته العقدية لليهودية على العقل وحده ولم ير فيما خطه عزير أو عزرا من كتب التوراة المقدسة إلا تحريفًا بالغلط يتباعد بينهما أوأن تكون كتبًا منزلة من لدن الله ومن ثم راح يبرهن على تعمد هذا التحريف بما جاء في التلمود من خبط وترهات تتناقض مع بعضها ومع التوراة ولعل ما أورده السموأل فيه كثير مما ذكره ابن حزم الأندلسي(ت ٤٥٦هـ) في كتابه الفصل في الملل والأهواء من أوجه النقد التي فشلت الموسوعة اليهودية الكبرى في إجمالها عنه في باب المجادلات الدينية بين اليهود وغيرهم، مع أن ما طرحه ابن حزم يعد أقوى ما كتب من نقد للتوراة تاريخيا وأخلاقيا، ولا ريب أن سبينوزا قد استلهم في مقالته " رسالة فى اللاهوت والسياسة " كتاب ابن حزم الآنف وإن هذا الكتاب ليعتبر بحق أساس ما اصطلح عليه باسم النقد التاريخي للكتب المقدسة، وكان ملهما للسموأل

(١)إظهار الحق: الشيخ رحمه الله الهندي ، ج١، ص٣٣ بتصرف.
(٢) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، عبد المنعم الحفني، ص١٣.

ولكثير من اليهود من بعد.

ويؤيد هذا الراي تاريخ التوراة نفسها فمن المعروف أن " التوراة المتداولة الآن ليست هي التي أنزلت علي سيدنا موسي –عليه السلام –فقد كانت التوراة الأصلية أصغر من ذلك بكثير بحيث تنقش علي اثني عشر حجرا نقشا جيدا وأنها كانت مقتصرة علي الشريعة فقط ، وقد كانت موضوعة في تابوت العهد حتي استولي الفلسطينيون عليه في نهاية قضاء عالي الكاهن (حوالي ١٠٧٦ ق .م) وظل عندهم سبعة أشهر. ثم أرجعوه في زمن قضاء صموئيل وظل في قرية يعاريم ٢٠ سنة حتي احضره داوود باحتفال كبير وأدخله إلي الخيمة التي نصبها له في مدينة داوود.

وحين بني سليمان –عليه السلام –الهيكل ووضعه فيه لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسي هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر، أي أن نسخة توراة موسي كانت مفقودة والغالب أنها كانت مكتوبة باللغة المصرية التي كان يجيدها موسي.

وعلي هذا فإن علماءهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة علي موسي البتة: لأن موسي –عليه السلام – صان التوراة عن بني اسرائيل، ولم يبنها فيهم، وإنما سلمها إلي عشيرته أولاد لاوي، ودليل ذلك قول التوراة العبرية:"ويختوب موسي آت هتوراة هزة ت وتنياه ألوهيم (الوكيم) بني لوي ".

أما الرأي الثاني: فيقول إن السند كان متصلا لكن تم تحريفه.

ويتبني هذا الرأي د.أ حمد حجازي السقا في تعليقه علي آراء الشيخ رحمة الله الهندي. فهو يعتقد بأن النسخة الاصلية التي كتبها موسي والتي كانت في تابوت العهد هي التي فقدت حينما استولي الفلسطينيون علي تابوت العهد.

علي أننا نميل إلي رأي الشيخ رحمة الهندي وبذلك نستخلص أن التوراة أو ما يسمي بالعهد القديم قد اندثرت وأن الذين حرفوا وألفوا التوراة هم مجموعة أو فريق إبان السبي البابلي وما بعده لذلك جاءت التوراة المحرفة ببعض التصورات والادعاءات الغريبة.". ويؤكد هذا المعنى كثير من علماء المسلمين فيقول الطبري: "إن أميون يعني اليهود أو أناس من اليهود أنهم لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده... إن أخبار اليهود تلي كتاب الكذب والفرية على الله بأيديهم على علم منهم وعمد الكذب على الله ثم ينتحله إلى أنه من عند الله. فكلام الطبري واضح بذاته، التوراة الحالية عمل إنساني لا علاقة لها بالتوراة الأصلية ويمكن أن يفهم أن معنى أخبار اليهود التي أشار إليها الطبري هو علماء اليهود القائمون على كتابة التوراة الذين أشار عليهم النبي إرميا بأنهم حرفوا التوراة

لأنهم هم المختصون بذلك كيف نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقًا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب)[١].

كما أن الانتحال يعني كتابة نصوص جديدة لا علاقة لها بالنص الأصلي والادعاء بأنها من النص الأصلي وأدى هذا الانتحال بالضرورة إلى تعدد الرؤى والاتجاهات مما نتج عنه كتاب التوراة كما أشار الشهرستاني إلى ما يشير إلى تعدد التوراة بقوله: "توراة الناس هي التي جمعها ثلاثون حبرًا، وأما ابن كثير فيقول في تفسيره عن مجاهد: أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئًا وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله...ومن خلال استقراء ما سبق يتضح لنا أن التوراة الأصلية لا وجود لها ؛لذا بنى علماؤنا الأجلاء –رحمهم الله تعالى – فكرتهم الأساسية عن التوراة على الرؤية القرآنية التي وضحت - بخطوط عريضة عامة- التحريف الذي أصاب الكتب المقدسة التي سبقته وفي ضوء ذلك قام علماؤنا الأوائل بكتابة فصول نقدية عن العهدين القديم والجديد ضمن كتبهم التي بحثوا فيها عن الملل والنحل، وكان من أبرز الكتاب في هذا المجال(ابن حزم، والشهرستاني، وابن تيمية، وابن القيم، والقرافي)، ولكن لم يأت بعد ذلك من يكمل ما بدأه أولئك العلماء الأفذاذ وبعد انتقال علوم المسلمين إلى الغرب كان من ضمتها النتاج الفكري الإسلامي في حقل الدراسات النقدية للعهد القديم والجديد[٢].

هذه هي أبرز سمات التوراة الحالية التي بين أيدينا والتي تسمى بالعهد القديم من الكتاب المقدس عند النصاري الذي يتألف من العهد القديم وهو: التوراة والعهد الجديد وهو: الإنجيل، والتوراة تتألف من خمسة أسفار أساسية هي " سفر التكوين، والخروج، اللاويين، والعدد، والتثنية ". هذا إلي جانب بقية الأسفار الأخرى.

الأسباب الداعية لنقد المصادر التوراتية (شواهد نصية للرؤية الإسلامية)

من واقع أن هذه الدراسة مناقشة، حول وقائع وإجابات محتملة واستنتاجات مفترضة هدفها يتطلب نجاحًا مع "نقد مصادر التوراة" الإشكالية البحثية الرئيسة.

لذا فالبحث في حاجة إلى أن يقدم جوابًا لسؤال مهم وهو:**هل كتب سيدنا موسى –عليه السلام- التوراة الحالية؟**

للإجابة على ذلك يمكن القول: إنه أثير الجدل حول هذه المسألة داخل الوسط الإسلامي .

---

(١) أرميا (٨:٨).
(٢) العهد القديم دراسة نقدية، د/ على سري محمود، ص١١.

وفي الحقيقة إن الخلاف هنا لم يكن تناولًا حديثًا فقط، فقد تناول علماؤنا الأوائل –رحمة الله عليهم أجمعين- هذه المسألة منذ أمد بعيد وقبل أن نوضح اتجاه النقد المصدري نشير إلى أن جذور هذا الاتجاه أيضًا إسلامية، وورد في القرآن الكريم ما يشير إلى تعدد كتب التوراة وأن التوراة الحالية عبارة عن مؤلف مجموع أعمال بشرية ولا علاقة لهذه التوراة بالوحي الذي أنزل على سيدنا موسى –عليه السلام-، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾[١] ويعود الفضل في هذه القضايا إلى القرآن الكريم حين استفاض في كثير من آياته الكريمة إلى الحديث عن اليهودية والمسيحية وما لحق بكتبهم من زيف وتحريف. وإنما استدلالنا بكتابات اليهود أو النصارى حول هذا الموضوع إنما هو من باب الاستشهادات من كتابات غير المسلمين وإلا فإن القرآن الكريم الذى هو دستور المسلمين يؤكد على تحريف اليهود للقرآن وكفى به شهيداً، يقول الله عز وجل عن أهل الكتاب واليهود خاصة فى القرآن الكريم: ﴿الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾[٢] ويقول تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤]

كما أن الرسول –عليه الصلاة والسلام- أجرى مناقشات بينه وبين اليهود حول الكتب المقدسة، وقد سأله محسور بن سبحان من اليهود ما دليلك على أن القرآن من عند الله؟ فجاء الجواب من الله[٥] "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا

(١) سورة البقرة الآية: ٧٨-٧٩.
(٢) سورة المائدة الآية: ٤١.
(٣) سورة النساء الآية:٤٦.
(٤) سورة البقرة الآية:٧٥.
(٥) مقارنة الأديان: دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، د. طارق خليل السعدي، ص٢٧، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

كثيرًا "[١] وإذا انتقلنا إلى علماء المسلمين، نجد أن هناك الكثير منهم درسوا اليهودية بشكل عام والتوراة بشكل خاص، إن موضوعية العلماء المسلمين، واستعانتهم بمناهج علمية غاية في الضبط، مثل النقد التاريخي للنصوص، والنقد الداخلي للأفكار التي تنقلها هذه النصوص، حقيقة ثابتة في(تاريخ الفكر) كما أكد ذلك الدارسون المحدثون، سواء كانوا من الشرق أو الغرب. وإن المراجعة السردية لما كتبه الإمام ابن حزم في(الفصل)...، وفي(الرد على ابن النغريلة اليهودي) عن اليهودية، أو ما كتبه القاضي عبد الجبار بن أحمد في(المغني) عن البراهمة، أو ما كتبه الجاحظ عن النصارى في(المختار)، كفيل بالإبانة عن درجة الضبط العلمي التي توصل إليها هؤلاء العلماء.[٢]

فقام الغربيون بتطوير هذه الدراسات وساعدهم على ذلك عوامل عديدة أهمها: عملية الإصلاح الديني البروتستانتي التي رفضت الاعتراف ببعض أسفار العهد القديم.

لقد جهد نقادنا القدامى –رحمهم الله- على إبراز الموازنات والمقارنات النصية بين القرآن الكريم والتوراة، لما رأوا فيه صورًا تقويمية وأدلة قاطعة على تحريف التوراة، وهذا ما يعبر عنه الاهتمام بالنص.

ولما كانت المصادر التوراتية نفسها تمثل إشكالية مهمة ومحورًا أساسيًا في تناول نقد التوراة فقد أولى علماؤنا –رحمهم الله- أيضًا مصادر التوراة بمزيد من البحث والدراسة.ولم يقتصر النقد على الأسفار الخمسة بل تعدوها إلى أسفار الأنبياء.[٣]

والباجي الشافعي ركز نقده على الأسفار الخمسة وابتعد عن أسفار الأنبياء[٤].
وقد كان لهذا النقد الذي أخذوا به أنفسهم عن المسلمين ضحايا منهم كأوريل داكوستا(١٥٨٥ – ١٦٤٠) اعتنق الإسلام لفترة من باب مايسمى بالَتقَيِة وقد أنكر

(١)سورة النساء جزء من الآية: ٨٢.
(٢) قضية الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية: دراسة دينية منهجية مقارنة، لخضر شايب، ص١٥، ١٦، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
(٣)على التوراة: كتاب في نقد التوراة اليونانية، الشيخ الفقيه على بن محمد علاء الدين الباجي الشافعي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، ص١٢، دار الأنصار، القاهرة ب.ت.
(٤) السابق، ص١٢.

داكوستا أن تكون هذه التوراة كتابا سماويا وأن تكون الشريعة التي استثنتها اليهود إلهاما إلهيا فاضطهدوه لذلك ولم يجد مفرا من الانتحار(١).

و"منذ عصر النهضة والتنوير في أوروبا، وضعت الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية على بساط البحث، وصارت تشرح، وتدرس دراسة موضوعية علمية، تعتمد على العلم اللغوي لدراسة النصوص، وعلى مكتشفات علم الآثار، وبدأت تظهر بنتائج تتفق وتنسجم مع تلك الحقيقة التي قالها الإسلام منذ أكثر من ألف عام، من أن الكتب المقدسة التي بأيدي اليهود والنصارى تتضمن المنزل الأصيل والدخيل المضاف، وبالتالي، تتضمن الحق والخرافة، والتاريخ والأسطورة."(٢)

لقد اختلطت البحوث وتقييماتها، واختلفت فيما بينها في أمور واتفقت في أمور أخرى ذلك لأن دراسة حياة بني إسرائيل وعقائدهم لم تكن تعتمد على سبر أعماق التوراة وكذلك فهم نصوص القرآن الكريم فهمًا دقيقًا.

وبسبب التحريف الذي قصده بنو إسرائيل، أصبحت الدراسات تحتاج إلى كشف الغموض الذي أحاط بأحداث حياتهم، والذي أشكل على الكثيرين ممن تناولوها مما أدى إلى أحكام خاطئة وتقييمات ليست صحيحة.

ومما زاد في الإشكالات، وجود أكثر من كتاب يطلقون عليه اسم التوراة، فهناك التوراة العبرانية، والتوراة السامرية، والتوراة السبعينية اليونانية، وكل توراة تختلف عن الأخرى من حيث عدد أسفارها وأسلوب كتابتها ومنهجها الديني والعقدي، وجميعها ترى أنها الصحيحة وما عداها غير صحيح ولا يؤخذ به."(٣)

إن ما قدمه القرآن الكريم في قضية المصادر التوراتية، وما طرحه علماؤنا السابقون – رحمهم الله تعالى- لهو عمل جدير بأن يحقق المعرفة المرجوة، والنتائج المأمول الوصل إليها لدى العلماء الغربيين، وهذا ما كان ينبغي على الغرب أن ينفتح عليه منذ قرون؛ على اعتبار أن هذه الحقائق القرآنية، والآراء الإسلامية في القضية مكتسبات علمية واضحة، تحقق نتائج ملموسة في إطار بحوث المصادر التوراتية.

(١) موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهود ، د/ عبد المنعم الحفني، ١٣
(٢) التوراة اليهودية مكشوفة، ص١٣.
(٣) الكتاب والتوراة: عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، د/ حسن الباش ص٥، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٤م، دار قتيبة – دمشق.

إن هذه الحقائق القرآنية، والآراء العلمية لعلمائنا الأوائل تدلل على جملة من الحقائق والاستنتاجات التي يجب على الغرب أن يأخذها بعين الاعتبار:

١- مشكلة المصادر التوراتية، لا يمكن للغرب أن يصل إلى حقيقتها النهائية بعيدا عن مفهوم التحريف والتشويه والانتحال الذي طرحه وأوضحه القرآن الكريم.

٢- الاستمرار في عرض وترسيخ نظريات المصادر المتعددة للتوراة.

٣- ضرورة الربط بين الاعتبارات التاريخية عند الغربيين، والمكتسبات المعرفية في القرآن الكريم ضمن سياقات قضية المصادر.

٤- النقد المصدري للتوراة لم يبدأ في الغرب، بل نشأ أولا في الوسط الإسلامي العربي، ولكن زاد من أهميته وتتبع مسيرته وكشف عن عوامل التطور فيه علماء النقد التوراتي في الغرب.

٥- ضرورة أن يتجاوز أصحاب المنهج النقدي الخصوصيات الدينية والثقافية، والتي تقف حاجزا أمام انتفاعهم بحقائق القرآن الكريم ومناهجه المعرفية لتوضيح الحقيقة في القضايا الأخرى التي بين فيها القرآن الكريم الحقيقة بوضوح.

الخاتمة والتوصيات

وفيها أطرح عددًا من النتائج التي انبثقت عن هذه الدراسة والتي تتمثل فيما يلي:

١- يبدو واضحًا، أن سيدنا موسى –عليه السلام- لم يكتب الأسفار الخمسة الحالية، بل كتبها أشخاص عدة عاشوا بعده بقرون عديدة.

٢- مما سبق يتضح أن التوراة الحالية لا يمكن أن تكون توراة سيدنا موسى –عليه السلام- نظرًا لما جاء في أسفارها من نصوص يستحيل أن تكون وحيًا، أو أن يكون سيدنا موسى –عليه السلام- كاتبها، وإنما كتبت بعد وفاته –عليه السلام- .

٣- كما يتضح لنا أن الذي تخلص من التوراة الأصلية اليهود أنفسهم ثم دونوا غيرها ولم يكن تدوينهم لها على وجه صحيح، بل جاءت بصورة مشوهة، واضحة التحريف، ومجهولة المصدر، وهذا الأمر جعلها تفقد قدسيتها، ومصداقيتها، وهذا بدوره استدعى أن يُطرح هذا السؤال المهم: ماهي المصادر الحقيقة للتوراة الحالية؟ هذا ما ألفت نظر الباحثين إليه، وأوصيهم به، علهم يجدون إجابة وافية عبر بحوث عدة في المستقبل القريب- إن شاء الله تعالى-.

مراجع البحث و مصادره

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- أساطير التوراة الكبرى، د.كارم محمود عزيز، ط١، ٢٠٠٦م، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر.
- إظهار الحق: الشيخ رحمه الله بن خليل الرحمن الهندي، دار الجيل- بيروت- ب.ت
- التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، توماس ل.طومسون، ترجمة: صالح علي سوادح، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، الناشر: بيان للنشر والتوزيع –لبنان.
- التوراة اليهوديه مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات الآثار، د. إسرائيل فنكلشتاين، د. نيل إشر سيلبرمان، ترجمة أ. سعد رستم، صفحات للدراسة والنشر – ب. ت.
- التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس - بيروت، ب.ت.
- التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، د.سهيل زكار، ط٢٠٠٧م، دار قتيبة.
- التوراة في الفكر اليهودي، الراهب سرافيم البرموسي، يونيو ٢٠٠٧م، ب.ط.
- التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ليوتا كاسل، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، ب.ط، ب.ت.
- التوراة كتابات ما بين العهدين(مخطوطات قمران – البحر الميت٢)، التوراة المنحول، حققت بإشراف أندريه دوبون – سومر مارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، ط١ – ١٩٩٨م، دار الطليعة الجديدة – دمشق.
- التوراة كتابات مابين العهدين: (الكتب الآسينية ١)، حققت بإشراف: أندريه دودون – سومر مارك فيلوننكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، ط١، ١٩٩٨م، دار الطليعة الجديدة – دمشق.
- التوراة: تاريخًا، أثريًا، دينيًا، إبراهيم الفني، دار اليازوري العلمية.
- العهد القديم دراسة نقدية، د.على سري محمود المدرس، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.
- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د.حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، مقارنة الأديان، د. محمد أحمد الخطيب، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، دار المسيرة للنشر والتوزيع- عمان.

- الكتاب والتوراة: عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، د/ حسن الباش ، ط١، ١٤٢هـ - ٢٠٠٤م، دار قتيبة – دمشق.
- الكتب التاريخية في العهد القديم، محاضرات ألقاها دكتور مراد كامل، على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٨م، معهد البحوث والدراسات العربية – جامعة الدول العربية.
- اللغة، الهوية(قومية – اثنية – دينية)، تأليف جون جوزيف، ترجمة: د/ عبد النور خراقي، مجلة عالم الفكر، أغسطس ٢٠٠٧م.
- الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد ديدات، ط المختار الإسلامي، ب.ت.
- الماضي الخرافي(التوراة والتاريخ)، توماس طمسن، ترجمة: عدنان حسن، دار قدمس للنشر والتوزيع، ب.ت.
- المجتمع اليهودى، زكى شنودة، ط مكتبة الخانجى، القاهرة.
- المحذوف من التوارة كاملا، د.سهيل زكار، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦ م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق – بيروت.
- المرشد إلى الكتاب المقدس، القس سيكل سيل، ط٨، ١٩٥٨ م، ب.ط، بيروت.
- المصدر اليهوي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية، د شريف حامد سالم، ط٢٠١١م، مكتبة مدبولي- القاهرة.
- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جيفرى بارندر، ترجمة: د/ إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة، ع(١٧٣)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.
- المعتقدات الدينية لدى الغرب، د.عبد الراضي محمد عبد المحسن، صادر عن مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية.
١-المعجم العلمي للمعتقدات الدينية ، The Scientific Lexicon of Religious Beliefes، تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي ، Arabicized & Edited، BY Saad EL FASHAWY.الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- المعجم المفصل في الأدب، د/ محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- المنجد فى اللغة ، ط٢٠، دار المشرق ، بيروت.
- المؤسس في نقد الكتاب المقدس، رويكد بن صالح التميمي النجدي، نسخة إلكترونية، ١٤٣٠هـ.
- الوافى ،عبد الله البستانى، ط مكتبة لبنان ١٩٨٠ م،

- الوعد الإلهي في العهد القديم بعودة الفلسطينيين إلى أرض فلسطين، د. محمد عبد السلام منصور، المؤرخ العربي.
- اليهود تاريخ وعقيدة، د/ كامل سعفان، دار الاعتصام، ب.ت.
- اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دراسة وتعليق د.محمود النجيرى، مكتبة النافذة.ب.ت.
- اليهود في العالم القديم، د.مصطفى كمال عبد العليم، د.سيد فراج راشد، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، د.رشاد عبدالله الشامي، ط١، ٢٠٠١م، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات- القاهرة.
- بنو اسرائيل، د.زياد منى، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد ٦٣، السنة ١٦ صيف ١٩٩٨م، الكويت، دائرة المعارف الكتابية ، جوزيف صابر وآخرون ، د.ط ، دار الثقافة ، القاهرة.
- تاريخ الآباء وديانتهم: رؤية نقدية في ضوء نظرية مصادر التوراة، د. أحمد محمود هويدي، مجلة كلية الآداب– جامعة القاهرة، مجلد(٦٠)، عدد(١)، يناير ٢٠٠٠م.
- تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار، ترجمة: أحمد محمود هويدي، ط ٢٠٠٠م، المجلس الأعلى للثقافة- مصر.
- دراسات فى الأديان، اليهودية والنصرانية، سعود عبد العزيز خلف، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، أضواء السلف ، الرياض.
- دليل العهد القديم، د.ملاك محارب، ١٩٩٧م، الناشر أبناء الأنبا رويس.
- على التوراة: كتاب في نقد التوراة اليونانية، الشيخ الفقيه على بن محمد علاء الدين الباجي الشافعي، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة ب.ت.
- قاموس الأديان الكبرى الثلاث: اليهودية – المسيحية – الإسلام، نور الدين خليل، ط٢٠١٠م، مؤسسة حورس الدولية – الإسكندرية.
- قضية الذبيح بين الروايات الكتابية والإسلامية: دراسة دينية منهجية مقارنة، لخضر شايب، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- كيف زيف اليهود الكتب المقدسة، موسى الزغبي، ط دار المنار، ب.ت.
- لاروس المعجم العربي الحديث، د/ خليل الجر، مكتبة لاروس، باريس – فرنسا.

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د/ سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني وسوشبريس بالدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت – لبنان.
- مقارنة الأديان: دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، د. طارق خليل السعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
- مقال النقد الكتابي، حلمي يعقوب، النسخة الإلكترونية، نت.
- من كتب التوراة، ريتشارد إليوت فريدمان، ترجمة: عمرو زكريا، ط٢٠٠٣من دار البيان للنشر والتوزيع.
- مناهج النقد الغربي للعهد القديم، د.أحمد عبد المقصود الجندي، مقال منشور على(أون إسلام نت) بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٨م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيرى، ،ط١، ١٩٩٩م ، دار الشروق ، مصر.
- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، د.عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ب.ت.
- نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي الإسلامي: د.أحمد محمود هويدي، ط ٢٠١٤م، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- نقد العهد القديم: دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، شريف حامد سالم، ط١، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي –القاهرة.
- نقد العهد القديم، د.سامي سعيد الأحمد، بحوث مهداة إلى الدكتور أحمد سوسة بدون.
- The world Book Encyclopedia volume (19) world Book , Inc . a scott fetger company , chicago London Sydney , Toronto ,
- Felminist Interpretation of the Bible and Hermeneutics of Liberation , edited by Silvia Schroes & Sophia Bietenhard , P.46 Journal for the , study of the old Testament Supplement Series 374 , 2003
- موقع إلكتروني: WWW.ISLAM75.3LAMA.NET.
- موقع إلكتروني: www.arm.wikipedia.org.

تم بحمد الله